رواية

أسياد وعبيد

سميرحمايه

الجزء الأول

الإهداء

إلى هذا القلب الذي لا يخاف أن يرفع صوته من أجل الصدق

والحقيقة ولا يقف موقف المتفرج من الظلم والغباء فهم يدركون

أن القبر سوف يوفر متسع من الصمت والسكوت

قي ظُلماتِ النهار، تحترقُ الشمسُ على قارعة القلوبِ الضالة

على مرأى النجوم الضالة التي هربت من بين ثنايا خيوط الليل

على حافة أمل ضائع ، هناك ناي حزين يغني، تمردت الأغاني

الجميلة، وخطفتها النغمات الحزينة ،حبستها في ممراتٍ ضيقة

تلك الطرق العابرة بنا طريق الحياة، أصابتها اللعنة.

تجمعت كل القوة في يدهم، ساقوا العامة إلى ممرات الحيرة

وحاصروهم قي ممرات ضيقة .

نهبوا الغلال من المغل حتى شحت من القاهرة

، أطعموها لخيولهم حتى أن العامة لم يجدوا خبزاً

، سرقوا دجاج العامة وأوزهم، دخلوا إلى الطواحين

ونهبوا مافيها من دقيق ، خطفوا من السقايين الجِمال ، حتى الأسواق

ومابها من قماش وبضائع تم نهبها .

إنفرد الحاكم بإستحلال الدماء ، وإنفراد المحكوم للخضوعِ والخنوع .

فمنذ أن دخلوا القاهرة بالسيف والشر يرفع رايته في كل الممرات

كان قد أفصح النية إنْ دخل القاهرة أحرقها وأعمل السيف في

في أهلها.

كان الأمر فوق طاقة الشيخ عامر الجزار، ذري اللون ، صاحب ذقن طويلة ، وافر الأنف ،ضيق العينين ، قصير القامة ، في ظهره حنية ظاهرة ، ورغم كبر سنه إلا أنه يمتلك خفة ورهج ، يسابق الريح في الحق.

.. لم يكن كغيره من شيوخ التصوف الذين يعلنون الخضوع دائماً للحاكم ولا يتصدون للإصلاح ،وكأن الفسوق لا يعنيهم، هو يدرك أنه كلما ازداد الجهل والتخلف واضطربت الأخلاق، زاد التصوف وغالباً التصوف لا يمنح حياة دينية قوية، ولكنه يمنح حياة دينية خاملة، لا نبض فيها ، فهم يكتفون ، بالتبرك بالأولياء ويقدسون القبور، واقامة الموالد حولها، كانت الموالد والأضرحة تجمع كل مظاهر الشرك، وكانت أهم الموالد في مصر،مولد البدوي ومولد الحسين ومولد السيدة نفيسة .

.. كمان كان الشيخ عامر الجزار، يكره مظاهر التقديس لأولياء التصوف، وشيوخ الطرق ولا يعتقد بأحاديث الكرامات الظاهرة والأنوار الساطعة ،حيث أنه ضحك كثير على قبر ولي كانوا يعتقدون فيه وأتى السيل فجرفه، ودمره وبعثر عظامه وتفرقت حتى أنهم لم يستطيعوا أن يجدوها ، فما حدث لقبر هذا الولي الذي يعتقدون أنه صاحب كرامات ، يثبتُ كذب كلامهم

وإدعاءاتهم الباطلة،ورغم أن القبر تهدم وما به من عظام قد جرفتها السيول إلى المجهول ، إلا أن أولاده وأتباعة بنوا له قبراً أخر بلا جثة وكان ضريحا فاخراً يتزاوره شيوخ الصوفية والأتباع لينالوا من كرامات هذا الولي ، ويختلط داخله الرجال بالنساء ، حتى أن بعض العشاق يتواعدون داخل الضريح ، والغريب أن القبر والضريح الذي يفقد الشهرة والأتباع، يقومون بهدمه ويبنون قبوراً آخرى لمن يموت ويتناول سيرته وبركته الناس.

كان أيضاً لا يطيق مايراه في إقامة الموالد ، من تقديم قرابين ونذور وولائم وموائد، حتى أنهم ابتدعوا للأضرحة مواسم وأعياد كل سنة ، يدعون لها الناس من الوجهين البحري والقبلي والدلتا . فينصبون الخيام والصواوين والمطابخ والقهاوي ويفترشون الحلويات والألعاب من أرباب الملاهي ولا يخلوا الأمر من وجود الغوازي، والبغايا ،والقوادين ،والحواة ويتحول المكان حول الضريح إلى حفلات سمر ورقص ويضربون بالطبول والزمور ، ليلاً ونهاراً، ويستمر ذلك حوالي عشرة أيام تلط صلواتهم ونسكهم وقيامهم الليل..

كان الشيخ عامر يسأل نفسه ، أين هؤلاء العلماء والفقهاء

الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لم يجد إجابة

لسؤالة لأنه يدرك ببساطة أنهم قادة الأمةِ والسبب الرئيسي

في هذا الفساد والإنحلال .

لم يكن الشيخ عامر على هواهم ولا تعجبهم فتاويه أو دعواته

للإصلاح ولكن هم يخفون حسدهم وكراهيتهم له لحب الناس

له وعندما يجلسوا مع بعضهم البعض ، يتهمونه بالكبر والغرور

والتشدد وأنه ضد مظاهر الحياة وكانوا يبثون سمومهم عليه

عند الوالي سلمان أغا .

ولم يكونا هم فقط من كان يبث سمومه على الشيخ عامر، كان ايضا

شيوخ القضاء لإنصراف العامة عن عدالتهم التي لم ترضيهم

ويجدون في مجالس الشيخ عامر العرفية، العدالة الحقيقة المنصفة

فهو لا يحابي غنيا على فقير ولا كبير على صغيرا ،كان يحب

العدالة وعاشق للحق ولا يخشى في الحق لومة لائم.

..أيضا التجار وأصحاب المال كان يحارب جشعهم ورباهم الفاحش

ويدعو إلى الكسب الحلال .

سلمان أغا ، ذلك الوالي الذي انغمس في مظاهر اللهو والترف ..

ولا يعنيه سوى جمع المكوس ويقيم حفلات السمر التي

يحضرها كبار الشيوخ والتجار والقضاة ولا يهتم بأحوال

الرعية التي تركها للنهب للمماليك الذين إستعادوا نفوذهم

بعد ان ترك لهم الحكم الداخلي، و لعساكره، وقطاع الطرق

ومن كان قد أطلقهم سلطانهم عند فتح القاهرة من المجرمين

واللصوص .

قام الشيخ عامر فزعاً من صراخ ابنه حسن ، شاب في

بداية مراحل الشباب ، في الخامسة عشر من عمره

طويل . أبيض الوجه ،شعره رغم قصره إلا أن به نعومة

ظاهرة ...

حسن.. قم ياأبي القيامة قايمة في الأزهر.

... خير ن شاء الله

..أهالي الحسينية ثاروا وكلهم في الأزهر.

.. لم يفكر الشيخ عامر بطمس وجهه ببعض الماء ،وذهب مسرعاً

إلى الأزهر ووجد هناك جمع غفير التفوا حوله يشكون له نهب

محلاتهم وبيوتهم، الأزهر مكتظ بالعامة ومعهم الطبول ويحملون

النبابيت والمساوق فصرخ فيهم الشيخ عامر

...أنا معكم

فخرج بهم من نواحي الجامع، وأغلقوا أبوابه، والبعض منهم

إعتلى المنابر ضاربا بالطبول..ومشى بالبعض منهم الى السوق

وأمر بغلق الحوانيت .

..ووقف حسن إبنه يحدث الناس ..

من يقطع لنا ورقة سوف نقطع شجرته .

احنا نجمع بعض من كل حواري القاهرة وبولاق ومصر القديمة

وننهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا وحوانيتنا ونعيش بكرامة، يانموت

شهداء...كلمات حسن لاقت استحسان الجميع وألهبت حماسهم ولكن

الشيخ عامر طلب منهم الهدوء وانه حيقابل سلمان أغا.

..ذهب الشيخ عامر إلى قصر سلمان أغا في الغورية بصحبة البعض ممن

تضرروا ، واضطر ان يستجيب سلمان أغا لمطالبهم وطلب منهم قائمة بالمنهوبات وعوضهم عنها .

.. مواقف كثيرة أثارت حفيظة سلمان خان، فهو لم ينتهى من الحادثة القريبة

بعد أن شحت الأغلال، وقلل من الرواتب.فثار الفقراء والقاطنين بجوار

الأزهر وقفلوا أبواب المسجد عنداً على صمت الأئمة على ضياع حقوقهم

ومنعوا الصلوات وكان ذلك يوم جمعة،فلم يصلي في ذلك اليوم أحد.

وأغلقوا المدارس المجاورة ،وخرجوا يرمحون في الأسواق ويخطفون

ما يجدونه من خبز وتبعهم الجعيدية وأرازل السوقة ...وأيضا تحت

ضغط الشيخ عامر ،اضطر على دفع الرواتب، وتعديلها وتعويضهم.

..منزل الشيخ عامر بسيط ، مبني بالطوب اللبن ، مسقوف بالخوص

عبارة عن ثلاث حجرات ، حجرة تجمع الشيخ عامر وزوجتة خديجة

إمرأة في العقد السادس من عمرها ، لها بشرة ناضرة ، هادئة وطيبة

العشرة تحب زوجها وابنها حسن ولكن دائما في قلق على حسن وطيشه

وتمرده فلا يمر يوما يخرج فيه حسن إلا ويقوم بمغامرة وتخاف عليه

من العسكر وتخشى أن يصيبه مكروه ..هي مريضة بالتهاب رئوي

..الحجرة الثانية، مخصصة لحسن، بفرش بسيط عبارة عن حصيرة

ومصطبة للنوم عليها، الحجرة الثالثة، للعبد رحان خادمهم هو وزوجته

سعيدة وإبنهم مرسال وينام ثلاثتهم في تلك الحجرة ...

لم يُظهر عسكر الوالي إحترام للدين وكانوا يجاهرون بالمعصية

يشربون الخمر في الطرقات والأسواق بين الناس حتى في رمضان

فأغلبيتهم لا يصوم ويسيرون في الشوارع بلا أدب وحشمة. وكان وجه الإضطهاد والإستعباد للمصريين عظيماً.

وفي أحد الأيام كان حسن يسير بصحبة مرسال في سوق الغورية

..بعض العسكر يشربون الخمور في الطرقات ،كانوا خمسة أفراد

يهينون المصريين، ويخطفون عمامتهم ويعرونهم (يرفعون ثيابهم)

ويغازلون النساء بالقول الفاحش، ولم يعجب الأمر حسن فدخل

ينهرهم، فاصطدموا به ونشأت بينهم معركة انضم فيها مرسال

لحسن، حتى قتلوا فرد منهم، وأصابوا الباقي منهم بجروح خطيرة

وقام العامة بتهريب حسن من السوق قبل أن يأتي باقي العسكر

..وكان رد فعلهم قاسي، فأتت جحافلهم تحقق في الأمر ،ولكن أخفى العامة الحقيقة حتى لا يتعرض حسن لأذي ، فقام العسكر بالوقوف على أبواب المدينة ويمسكون الناس كبيرهم وصغيرهم ويربطونهم في حبال، وجروهم للقلعة، وبدأ تعذيبهم في الأعمال الشاقة، من سحب مكاحل النحاس الكبيرة، إلى حمل الطوب الكبير وبهدلة بضرب العمائم ..ولكن لم يعترف عن حسن أحداً منهم .. ولكن الطامة الكبرى، وقعت من العثمانيين ، بقيام جماعة منهم يعترضون أولاد الناس في الطرقات ويقولون لهم .

...أنتم شراكسة.

فيجيبون أنهم ليسوا من المماليك، أ وأنهم من العامة.

...فيقولون لهم ..اشتروا أنفسكم بدلاً من القتل ويأخذون ما معهم من أموال، عنوة وقطع طريق، وصار أهل مصر تحت رحمتهم ومن لم يجدوا معه مال، أخذوا مامعه إن كان قماش أو دابة أو أي شئ وفرضوا غرامات على الزواج والطلاق، حتى أن النكاح توقف بسبب تلك المكوس. والعامة في صمت وذل وهوان..حتى حدثت الحادثة ...قطعت تلك الجماعة على حسن ،

... أنت شركسي .

...أنا مصري حر وليس مملوكاً .

...لا انت شركسي أو تشتري نفسك.

...اشتري نفسي من مين .

...تشتريها مننا.

... وانتوا تعرفوا حجم نفسي..دي غالية جداً.

..خلاص ادفع .

... وإن لم أدفع .

تهجم عليه واحد منهم..يبقى حتموت هنا ،تفادى حسن الضربة ومسك يديه ،ولواها خلف ظهره، وكاد أن يكسرها وحينها تشجع بعض شباب العامة ،انضموا لحسن وقتلوا أربعة أفراد من الجماعة وجرحوا عشرة والباقي ولى الفرار.فتحمس الأهالي وقاموا بثورة كبيرة اعتراضا على تلك التصرفات وضريبة الزواج والطلاق..

... واضطر سلمان أغا للرضوخ لطلبات العامة على لسان الشيخ عامر ، لغى ضريبة الزواج والطلاق ، ولكنه عزم على القضاء على الشيخ حسن وإبنه هذا الفتى الجامح في نظره ودبر مكيدة، وأرسل رسالة للسلطان يخبره بعصيان الشيخ عامر وتأليبه الأهالي ضدهم ، حتى أنه لم يستطيع جمع الخراج.

...أصدر السلطان فرمان بإعدام الشيخ عامر بتهمة الخيانة العظمى.

...تسرب خبر فرمان إعدامه لحسن عن طريق عامل في قصر سليمان أغا

كان قد أنقذ زوجته من الخطف من الجماعة العثمانية ولم ينسى العامل معروف حسن معه .

أقنع حسن والده الشيخ عامر بترك المنزل والإختباء عند الشيخ سلامة وذهب به إلى منزل الشيخ سلامة وأخذ العهد عليه أن يحفظ أبيه فأعطاه موثقاً...

..بعث سلمان أغا حامية للقبض على الشيخ عامر ولم يجدوه في المنزل وخربوا البيت، دمروا أثاثه وانتهكوا حرمة المنزل ودخلوا على أمه المريضة وتعاملوا معها بعنف.وعندما عاد حسن إلى المنزل وعلم بما حدث من الحامية ، فسبقه غضبه، وحاول أن يجري مسرعا خلفهم لولا أن أمه خديجة تعلقت في ملابسه، وإشتد عليها التعب والكحة الشديدة ..حملها حسن على سريرها.

...طمني على أبوك ياحسن .

...أبويه بخير يا أمي ، ماتشغليش نفسك بحاجة وإهتمي بصحتك.

...ازاي ياابني ، حشغل نفسي بمين غيركم.

..إرتاحي أنت يا أمي وأبويه في مكان أمين .

.. لم يكن الشيخ عامر يتصور خيانة صديقه الشيخ سلامه مرعي ، الذي بلغ الحامية عن مكانه ، فأرسلوا قوة قبضته وذهبوا به إلى سلمان أغا ، الذي أبقاه محبوساً في قصره عشرة أيام.

...لم تتحمل خديجة ماحولها من أحداث وزاد صدرها إشتعالا
بالكحة المصحوبة بالبلغم الكثير الممزوج بالدم ، تحول إلتهابها
الرئوي إلى إلتهاب حاد مزمن ، حتى وافتها المنية .
..وكان موتها صعب على حسن ، وأشد ماعانى منه عدم حضور
أبيه لدفن أمه ، وكتم عنه الخبر ، ولم يكن يعلم أنهم قاموا بالقبض
على أبيه ،حتى أتاه الخبر من عامل القصر، وأبلغه بخيانة الشيخ
سلامه لأبيه، وأنه أبلغ عنه ،وتمكن الغضب من حسن وذهب
إلى الشيخ سلامه وقتله فازدادت الأمور تعقيداً وأصبح هو مطلوب
للحامية العسكرية حياً أو ميتاً،واضطر للإختباء في المقابر ومقابلة
ريحان ومرسال خفية .
بعد عشرة أيام طلب الوالي سلمان أغا بتجهيز مقصلة الإعدام
والمناداة في الحواري بإعدام الشيخ عامر.
وفي يوم الإعدام احتشد الأهالي في المكان ، وأتوا بالشيخ
عامر، وساروا به حتى مدخل بوابة القصر، الذي احتشد
حوله العامة ، ظل الشيخ عامر يلقي السلام على العامة
ويوزع عليهم ابتسامته، وصراخهم عليه يزداد ،ودموعهم
لا تتوقف ، فهو كان حصن الأمان لهم وهو من يدفع بحياته
من أجلهم، عندما وصل في الساحة التي أمام القصر، وجد
المقصلة ونظر إليها وأخذ يقرأ بعض آيات القرآن...

حسن أتى متخفياً واخترق الصفوف حتى الصف الأمامي،وقف

بجوار العبد رحان وإبنه مرسال.

.....إلتفت الشيخ عامر للصفوف المحتشدة وأخذ ينظر لهم،يرى

ريحان ومرسال، ولم يخفى عليه أن المتخفي بجوار ريحان، هو حسن

...نظر إلى الجموع طالباً منهم الدعاء له ، وإنخرط الجميع في

الدعاء الممزوج بالدموع...

.... نظر له الجلاد ..فيه في نفسك حاجة عاوز تقولها.

...عاوز أكلم رحان .

طلبوا له العبد رحان الذي اقترب منه والدموع تنهمروالشيخ عامر يقول له

....حسن أمانة عندك يارحان ، مالوش غير ربنا وأنتم.

...انخرط رحان في البكاء وطلب منه الجلاد الإبتعاد...صعد

الشيخ عامر إلى المقصلة ونظر للعامة النظرة الآخيرة وطلب

منهم قراءة الفاتحة وعندما انتهوا من قراءتها ..

.نظر الشيخ عامر نحو الجلاد قائلا...

...شوف شغلك

.. وضعه الجلاد على حبل المشنقة وكلما بدأ في الشنق ، ينقطع

الجبل وتكرر هذا المشهد عدة مرات حتى تم شنقه وطلوع روحه

وإنخرط الجميع في بكاء عظيم. وصرخة مكتومة حدثت من حسن

لفتت إنتباه رحان ، الذي إلتفت إليه لأول مرة منذ أن وقف بجانبه

وكان طوال الوقت منشغلاً بالشيخ عامر،علم رحان أن حسن هو من بجواره فأحتضنه في بكاء وصراخ كاد إن يلفت الأنظار على حسن وتنكشف شخصيته .

غروب وشروق

لم تخلف الشمس موعداً لها في الحياة ، هي حاضرة بموعد شروقها وحاضرة في إستواءها وحاضرة في موعد الغروب، مواعيد ثابتة للشمس لم تتغير، ليتنا نتعلم منها دقة النظام وثوابت المواعيد، فمنذ بداية رحلتها مع الكون ، تدرك أنها أساس الحياة ، ترسم لنا أجمل اللوحات وتحدد لن الأوقات ، ودائما تمتعنا بأجمل اللوحات المبهرة ، لوحة الشروق ولوحة الغروب التي ترسمها لنا بلون الشفق الأحمر.

مع مشارف الشروق وصل رحان وزوجته إلى مكان المعدية المتفق عليه بينه وبين حسن ، يقف قلقا على حسن مترقباً الطريق بينما زوجته مسعدة وإبنها مرسال إنشغلا بالمركب التي تُفرغ حمولتها على الشاطئ.

رحان مضطرب يحدث زوجته الشاردة مع المركب

...تفتكري اتأخر ليه يامسعده.

.... الغايب حجته معاه يارحان

...أنا خايف يكون اتعرض لسوء

....فال الله ولا فالك ياشيخ

... ربنا يصبرني .

...ماتقلقش احنا لسه اللي جايين .

مرسال متداخلا في الحديث.

..متخفش على حسن يابا وارتاح .شويه وحتلاقيه جاي.

انتهت المركب من تفريغ حمولتها من الفخار ومشغولات من نبات الحلفا بعضها حصير والبعض الآخر غِلقان يتم وضع الأشياء فيها متباينة الأحجام يسمون أكبرها قُفة.

..تلك المركب لرجل نصراني يدعى منقريوس من شرق النيل بمديرية جرجا، ، وشرق النيل له جماله وسحره الخاص ، فهو يحتضن الطبيعة بكافة أشكالها من جبال وصحراء وخضرة ، يعتز أهل الشرق بأنفسهم، وغالبا ماكانوا يدخلون في صراعات مع سكان غرب النيل وأثناء تلك الصراعات ،لم يفت فتيات القُرى في الشرق من ترديد الأغاني وكان أشهرها أغنية احنا ولاد الشرق.

أحنا ولاد الشرق

مال الغرب بينا

فرسان خلقنا الرب

نعادي من يعادينا

نغزل من الهم فرح

نبني م الدموع سواقينا

شداد على العدا

بالهمة نبني أمانينا.

.. منقريوس رجل طويل قوي البنيان يعمل بذراع واحدة هي اليسرى

،رجل يعتز بنفسه من النوع الصعب من الرجال

هذا النوع يحب الحرية.

، يحب أن يمتلك قراره، لايرضى بالدونية ، ولا يخضع

لعدمية،يحبُ أن يتدخل أثناء حدوث الأخطاء، يتنزه عن

سفاسف الأمور، وتوافه العداوات، بعيد عن مستنقعات البغض

والكره والحسد ، يقبل بالآخر وحريته ، ويحترم رأيه، هو يعيش

لغيره لا لنفسه ، ويدرك أن من يعيش لنفسه إستعبدته..وكانت

شخصيته وقوتها سبب في فقد ذراعه في مبارزة بالعصا

وخسر بخسارة المبارزة ذراعه وخسر الكثير، مكانته بين قومه

وأرضه، ولم يرضى أن يعيش ذليلاُ، وضعيفاُ في مستنقع يحكمه

الشر والظلم ، فترك أخيه أرمنيوس والبلدة واشترى تلك المركب

وهو يعمل عليها، ويساعد أخيه ارمنيوس في معيشته ، يعاونه على

على المركب وليم إبن اخته .

..رحان عينيه في حيرة، بين النظر للطريق الذي من المفترض

أن يأتي منه حسن، والمركب التي انتهت من تفريغ حمولتها ، فهو

يود أن يتحدث مع صاحب المركب لينقلهم معه ، هو لا يدري أين

ينقلهم ، هو يريد أن يبتعد بالمركب إلى أقصى الجنوب .

.. منقريوس بعد أن قام وليم بحل الحبل المربوط في شجرة على الشاطئ.

بدأ يضع الجزع الخشبي الكبير في الماء لتحريك

المركب إلى داخل النيل ، ووليم يمسك بالدفة .

...رحان يشعر بالحسرة على فوات تلك المركب ، فهو لن يضمن

صدفة آخرى مثل تلك المركب وحتى يجد مركب آخرى ، لا يدري

كم يحتاج من الوقت ، ربما ساعات، أو يوم أو أكثر، بدأت عينه تزرف

الدموع على ضياع تلك الفرصة ، إلا أنه حدث أمر غريب ، المركب

لا تتحرك ، دقاته قلبه تتزايد، وأنفاسه تتسارع فرحة ممزوجة بخوف

ربما تتحرك المركب ، تأكد أن المركب من المؤكد غرزت في النيل

وسوف تحاتج الكثير من الوقت .

منقريوس بعد أن فشل في تحريك المركب وتأكد أنها غرزت

اتجه بنظره للشاطئ ناحية رحان وزوجته ومرسال ، طالباً منهم العون

..رحان حمد الله على تلك الفرصة التي وضعها الله في طريقهم

ولا شك بعد أن يساعد منقريوس، فسوف يوافق على نقلهم معه وخاصة

لايوجد غيره والصبي الذي معه ،رحان طلب من زوجته أن تنتظر هي

حسن وسيذهب هو ومرسال لمساعدة الرجل .

..نزل رحان من أعلى التبة إلى أسفل نحو الشاطئ حيث توجد المركب

تبادل التحية مع منقريوس وطلب منهم مساعدته في إنتشال المركب

الغارزة ،.رفع رحان جلبابه، وعلقه في صدره وتبعه مرسال ونزل

إلى الماء محاولين دفع المركب إلى داخل المياه بعيدا عن الطين وباءت محاولات الجميع بالفشل، حتى تصبب العرق من وجوههم ...لمحت مسعدة حسن وهو قادم إليها فتهللت بالفرحة ،هي تشعر أنه إبنها ولِمْ لا وهي من قامت بتربيته وسهرت عليه أكثر من أمه وهو يحبها كثيراً وغالبا لا يرفض لها طلباً. نادت رحان من بعيد

حسن قادم .

ابتسم رحان ونظر إلى منقريوس قائلاُ..

..لا تقلق ، حسن قادم، ربما يأتي الفرج على يديه.

...رد منقريوس ...مين حسن ده .

...تلعثم رحان في الرد وقال له هو إبني .

وصل حسن حيث خالته مسعده .

...ازيك ياخاله .

..أهلاً ياحسن ، قلقت عليك يابني.

..أنا بخير الحمد لله ياخاله، فين عمي رحان ومرسال.

..أشارت له مسعده إلى أسفل حيث مكان المركب.

عندالمركب دي ، غرزت وبيطلعوها .

...نزل حسن إلى أسفل وتبعته مسعده حتى وقفا على الشط.

رحان.. اهلاً حسن ، جيت في وقتك ....

... المركب غارزه في الطين ومش قادرين نطلعوها.

...شمر حسن جلبابه ووضعه في عبه ونزل إلى الماء

حتى وصل إلى المركب وصعد إليها وحيا منقريوس و وليم

..نظر إلى الجزع الذي بيد منقريوس

.. هات الجزع ياوالدي وانت ومعاك كمان هذا

مشيراً إلى وليم انزلوا الماء مع عمي رحان ومرسال

وخليكم في الخلفية، وأنا حروح في الجزء الأمامي للمركب بالجزع

وأول مأغرس الجزع انتم الأربعة من خلف المركب تدفعوها

للأمام.

...استحسن منقريوس وجهة نظر حسن، ونزل هو ووليم إلى الماء

نحو الجانب الخلفي للمركب، وأمسك هو ووليم في الجانب الخلفي

الأيسر، ورحان ومرسال في الجانب الخلفى الايمن ، وذهب حسن

إلى مقدمة المركب وقبلها قليلاً، لأنه أدرك أنهم بزلوا جهدهم السابق

في الجانب الخطأ، غرس حسن جزع الشجرة في الماء قائلاً

....ياالله ، يامعين ، يامهون كل أمر عسير.

...الأربعة في الخلف يرددون وهم يدفعون المركب

.. ياالله ، يامعين ، يامهون كل أمر عسير.

.. تحركت المركب بتسهيل من الله وهلل الجميع وصعد منقريوس

ومرسال وقبلوا حسن .

...شكرا للرب ولك يابني ، بعثك لنا في الوقت المناسب.

...حسن ..هي تساهيل ربنا .

.. رحان هل تقبلنا ضيوف على مركبك .

..منقريوس .. على الرحب والسعة ، وفوق الراس كمان.

..رحان .. فين طريقك .؟

منقريوس ..أنا عائد لولاية جرجا.

رحان ..نفس طريقنا .

.... على الرحب والسعة .

..يشير منقريوس إلى مسعدة التي تقف على الشط وتتابعهم

,,هي زوجتك .

..نعم

...احملها للمركب .

نزل رحان إلى الماء حتى الشط وحمل زوجته مسعده

حتى وضعها أعلى المركب .

بدأت المركب شق طريقها نحو الجنوب .

شرف الله الإنسان عن جميع المخلوقات بالنطق ، فإن سكت أو لزم الصمت عاد بهيميا، فلو كان عاقلاً حكيماً واحد في قرية بها ألف رجل يستنيرون بعقله ، صارت القرية بألف عاقل وحكيم ، ولو قاد جاهلا واحد قرية بها ألف رجل ، صار بالقرية ألف جاهل وأحمق.

,,تلك هي الكلمات التي إستهل بها الشيخ أدم خطبة الجمعة في سهل

الريباينة شرق النيل ،سوهاج والتي تنتصف المسافة بين النيل والجبل

ويفصلها عن النيل أراضهم الخصبة ،ونخيلهم وجناين الفاكهة.

ويفصلهم عن الجبل، مساحة قليلة من الصحراء تحتاج المشي

نصف يوم .في مسجد القرية المبني بالطوب اللبني، والمسقوق

بجريد النخل ، ومنبر من الطين بأربع درجات سلم تحيط

بهما مصطبة صغيرة مستطيلة يصعد إليها الخطيب.

...الشيخ أدم هو شيخ القرية وخطيبها ومعلم كتابها،رجل قصير

فاقد البصر، صغير الشارب واللحية،

ويصحبه دائما في تحركاته إبنه شحاته ، صاحب العشرة

أعوام ، متزوج من عزيزة هي أم إبنه شحاته ، سمينة

قليلا ومتوسطة الطول .

بعد أن انتهى الشيخ أدم من مقدمة خطبته ، دلف لكيفية

معاملة الدين الإسلامي لأهل الكتاب وأخذ يشرح لأهل

القرية كيف نعاملهم ونبرهم ونقسط إليهم وألا نظلمهم وراح

يستشهد بآيات من القرآن .

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)
الممتحنة ٨

ومِن فقه التعامل مع أهل الكتاب حمايتهم، وعدم الاعتداء عليهم إذا لم يكونوا محاربين، فالنبي صلى الله عليه وسلم حذَّرنا من أذيتهم، ومن التعدي عليهم .. وعرج الشيخ أدم في خطبته نحو قبط مصر وراح يذكرهم بحديث

النبي عليه الصلاة والسلام

(عن ا أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاتِه، فقال: ((اللهَ الله في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله).((

ثم عرج على حديث آخر.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ألَا مَن ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة)

يجلس في الصف الأمامي من المسجد، الملتزم جعفر

وهو المُعين لجمع الضرائب والخراج والمحصول من

الأهالي وبجواره مساعدوه الثلاثة وأقواهم اللزي

شخص طويل يقترب طولة من المترين ، قوي الشكيمة

والبنيان ، صاحب صوت أجش وجه لا يبتسم، معروف

بغلظة طباعه الحادة عند الأهالي وهو يعتبر الرجل

الأقوى في القرية،والساعد الأيمن للملتزم جعفر

هو رجل متوسط الطويل بلحية صغيرة ووجه أبيض تعلوة حمرة، يلبس أفخر الثياب ويعيش في قصره مع إبنته

الوحيدة لواحظ التي توفيت أمها وهي إبنة العشرة أعوام.

...يأتي بعد اللزي من حيث القوة كُريم، هو أقل منه طولاً

قليلاً وبنياناً أيضاً، له وجه كريه لاتقترب منه الملائكة

هو وهارون ساعدا الملتزم جعفر وذراعه الأيسر

تأتي مكانتهما بعد اللزي ويحيط بهما وخلفهما رجال

تابعين لهم، وخلفهم البسطاء من أهل القرية وهم

العامة ومنهم الحمداني وابنه حمدان وسديري

ابن اخيه المتوفي والكثير غيرهم وحلاقين القرية

وجزاريها عبد المتجلى وعبد اللاه متولي

....الخطبة لم تلقى قبولا لدى الملتزم جعفر

ورجاله اللازي وهارون وكريم وتابعيهم ، وطوال

الخطبة ينظرون لبعضهم البعض بغل وغيظ من

الشيخ أدم حتى كادوا أن يعترضون الخطبة لولا

خوفهم من إنتهاك حرمة الجمعة والتزموا الصمت

..وغالبية أهل القرية يتابعون الخطبة وهم يمصمصون

الشفاة ويشعرون بالعجز وقلة الحيلة لأنهم يدركون

مايرمي إليه الشيخ أدم في خطبته وأنه يلقي حجرا في بحيرة ماء راكدة محاولا رفع الظلم عن أرمنيوس حتى بكلمة .

الليل يغازل حسن، وحسن كأنه يتجاهله، يبسط غليه حضنه ، لكن الليل يعتصره الألم على حسن ، ليته يملك يد تحتضنه و تمسح له دموعه،لا حل أمام الليل سوى النظر لحسن ، حاول أن يداعبه بالنجوم كلما نظر إلى السماء، هاهو النجم سهيل يظهر وبتألق محاولاً مداعبة حسن ،وخلفه النجم حارس السماء يطالب النجوم نثر الضوء على وجه حسن ،حتى النجم الثنائي رجل القنطور ظهر متلألأً راقصاً ،كل النجوم سطعت في ليلة حسن حتى النسر الواقع، رجل الجبار ...حسن رغم أنه ينظر إلى السماء ، مخترقا ببصره الليل إلا أنه شارد بعيداً هناك، شارد بين طريقين ذكريات ماض قاسي، حمل معه أشدأنواع العذاب ومستقبل غامض لا يدرك ملامحه، يقف على مقبرتين مقبرة ذكريات أمس قاتل، ينثر الدموع فوقها،ومقبرة مفتوحة يكسوها السواد، يعيشُ جراحاً لا تتندمل ويحيا في آلام حارقة لا ترحمه.

وبينما حسن في شروده ، قطع شروده يد

تربت عليه هي يد منقريوس.

..حسن يلملم شتات نفسه ويرحب بمنقريوس.

..أهلا عمي

...أسف لو قطعت خلوتك.

...لا تتأسف ياعمي .

...تسمحلي أجلس معاك

..اتفضل ياعمي .

...أرى فيك العقل والحكمة ولكن أشُد على يديك

بالحكمة يابني ....

-يقول النبي أيوب: "وأما الحكمة فأين توجد؟ والفطنة أين مقرها؟ لا يعرف الإنسان قيمتها، ولا وجود لها في أرض الأحياء. القمر قال ليست فيّ، والبحر قال: ليست عندي. لا يعطي الابريز بدلاً منها، ولا توزن الفضة ثمناً لها. ولا يساويها الذهب الوفير، ولا الجزع الكريم ولا السفير، ولا يقاس بها الذهب ولا الزجاج، ولا تبدّل بأواني الذهب الخالص، لا يذكر معها المرجان ولا البلور. واستخراج الحكمة يفوق استخراج اللآلئ. لا يقاس بها ياقوت لوش الأصفر ولا يساويها الذهب الخالص.

لكن من أين تأتي الحكمة، والفطنة أين مقرها؟ انها محجوبة عن عيني كل حي، ومتوارية عن طير السماء، الهاوية والموت قالا: قد بلغ مسامعنا خبرها، الله يبصر سبلها وهو عالم بمكانها.

حسن .. أحاول ياعمي أن أتماسك، أضع الأمور في نصابها

وأفعل ماينبغي فعله، أُحاول أن أتحكم في غضبي

..لأرى الطريق من أمامي.

.... يابني عليك أن تميز بين الذي تعرفه والذي تجهله

.... كُن عادلاً قبل أن تكون كريماً واعلم يابني أن اللسان

ليس عظاماً ولكن يمكنه كسر العظام. واحرص من الأصحاب

فنمر مفترس أمامك خير من ذئب خائن يغدر بك

كما حدث مع أبيك من خيانة، لقد حكى لي رحان

كل شئ.. احفظ دي عني واجعلها حلقاً في اذنك.

الأصحاب ثلاثة ..صاحب كالغذاء تحتاج إليه كل وقت، وصاحب كالدواء تحتاج إليه أحياناً، وصاحب كالداء لا تحتاج اليه أبداً

.... سوف أحاول أن أطرق بابا للحاضر، بحثاً عن الأمل

عن تربة أدفن بها أحزاني، عن حياة تضم بقايا

فؤاد أوشك على الهلاك .

..حسن يلتفت إليه ،حاسس ياعمي إن وراك

حكاية لا تقل ألماً عن حكياتي .

.. يابني داخلي جيوش من الأهات لو نثرتها للكون

لأكفته، أقف في نوافذ مغلقة بلا ضوء ، مجهولة الهوية

خناجر من الوجع تقتلني وتمزقني وتُمثل بأشلائي

حتى تحولت يابني إلى جسد بلا روح.

حكايتي ياإبني ...

الكثير منا يكذب، لأنه يدرك جيدأ أنه ليس هناك من

يبحث عن الصدق، إن أردت من حولك لا يبتسمون

فإبتسم أنت وإن أردت أن يبتسمون ، عليك بالحزن

حتى لا تحرمهم من البسمة، لوبحثت عن النقود

سوف تجد من حولك فقراء، ولو أظهرت الفقر سيظهر

من حولك أغنياء، هي حياتنا ، نسير عكس الإتجاه.

.. في قرية الريايينة شرق . داخل دكان على معبد

هو المتنفس بالنسبة لهم، هو الملاهي ، هو نادي

الترويح. يجتمعون في دكان على معبد يتسامرون

ويشربون ، وثلاث مشروبات فقط يقدمها على معبد

الشاي وهو متوافر في كل بيت ، العناب ولا تجده

إلا عند الأغنياء ، الحلبة الحصى.

.. يجتمع شباب ورجال القرية من العامة في هذا

الدكان يروحون عن أنفسهم ، يجلس عبدالمتجلي

حلاق القرية ، رجل غير مهندم الملبس ، بجسد نجيف

أخنف ولديه لحمية في أنفه ويجلس حمدان بن الحمداني

وابن عمه سديري وأحد ظرفاء البلده يدعى محمد

عوض ، مشهور بالمقالب والمواقف الكوميدية مع أهل

القرية ولديه حل لكل الأمور ، حاضر دائما للحلول

فمن لديه مشكلة في فراش الزوجية يلجأ إليه

ومن لديه سحر أو عمل يذهب إليه ، كل أسرار رجال

القرية معه وخاصة أسرار الفراش ويعلم الضعبف

منهم والقوى والعاجز.

محمد عوض متحدثاً.

خطبة الشيخ أدم اليوم قوية وهزت البلد.

عبدالمتجلي الأخنف

..بس قول ربنا يستر عليه.

الملتزم ورجالته ماشالوش عنيهم من عليه.

سديري ..

والله جدع وماخفش منهم وقال كلمة

حق ، كلنا مش قادرين نقولها وكانوا حياكلوه بعنيهم.

حمدان..

جعفر مش حيعديها ليه.

محمد عوض

..خلينا احنا نتكلم ومش قادرين نعمل حاجة

..عبدالمتجلي

..واحنا حيلتنا أيه غير الكلام نقوله

مش حنقدر نقف قدامهم.

سديري

... يعني أيه حنسيب المقدس أرمنيوس

لوحده معاهم يستفردوا بيه ويطردوه وياخدوا

بيته وأرضه .

حمدان

..باقي اسبوع على المهلة اللي ادوها ليه.

عبدالمتجلي

..انا حقوم اروح أحسن ، لما بتجيبوا

سيرتهم جتتى بتتلبش على طول .

.. محمد عوض

.. روح ياجبان يارب العفريت يطلعلك

... يطلعلي عفريت أحسن مايطلعلي اللزي وكُريم

وهارون .

الجميع يضحكون .

_ المركب

هكذا أصبحت الحياة ، تزعجنا فيها الحقيقة

ويفرحنا فيها الوهم، نعم فلا شئ يزعج الإنسان

ويؤذيه سوى الحقيقة ، نهرب من الحقيقة إلى متاهات

الوهم المقفرة والموحشة.

..حسن ينصت بتركيز لحديث منقريوس

...لم يكن هناك مفر ياابني من مواجهة اللزي

وتواجهت معه وصمدت أمامه في المبارزة بالعصا

من الصباح حتى إنتصاف الشمس في السماء

وفي لحظة غفلة مني هي طرفة عين ،ضربني

بعصاه على يدي اليُمنى وسقطت على الأرض

كانت الضربة قوية شلت دراعي.

....هل كان هذا اللزي قوي لهذه الدرجة .

...نعم يابني قوى جداُ لو أمسك بقالب طوب

لتفتت بين يديه .

... وبعدين جصل أيه ياعمي.

....كسرة الرجل صعبة ياحسن وكان صعب أبقى

في البلد مُطلخ بعار الهزيمة .

..

.بس أنت بتقول قوي بشكل غير عادي وصعب

هزيمته ، يعني محدش حيلومك لخسارتك.

...خسرت امامه أرضي وداري، حعيش فين..

أخويا أرمنيوس طلب أعيش معاه وابنتيه يشعه..

ومريم ، ولكن رفضت وقررت الرحيل من البلد...

اشتريت المركب دي وبحمل عليها بضايع من..

سوهاج للمحروسة ، عايش بين السما والميه

الليل صديقي ، والنهار رفيقي ، إعتزلت كل

الوجوه ، عندما يسود الظلم ياحسن تظهر قبائح الوجوه

......معاك حق وحالك مااختلفش عن حالي كتير

... لكن قولي ياحسن وبصراحه ، ليك حد في جرجا

حتنزل عليه .

....حسن يصمت ولا يجيب.

...فهمت ياحسن ، انت تارك نفسك للريح ياابني

..اسمعني ياحسن انا حبعتك لأخي أرمنيوس

حبعت معاك أمانه بعض المال يعينه في حياته

وهو حيدبرلك مكان تعيش فيه ، لكن أهم حاجه

ياولدي تبقى هناك في حالك ، مهما حدث ولا

تلتفت لشر الملتزم واللازي ورجالتهم،

.... على الله التساهيل ياعمي .

... فيه حاجه كمان ياابني.

...خير ياعمي.

... طالما رايح الصعيد ياحسن لازم تتعلم العصا

واحنا قدامنا أيام كتيرة نتسلى فيها بالعصايا واعلمك

كل فنونها والضرب بالسيف كمان ، لو اتعلمت تمسك

عصايا كويس ، حتعرف تمسك السيف .

.... مفيش مانع ياعمي وفكرة كويسه أنسى فيها

بعض همي وأفش غلي في العصا .

الشيطان يعظ

في منزل الشيخ أدم المتواضع وهو مبني بالخوص

من بوص الذرة الرفيعة ، يتم عملها كسجادة من

البوص سهل صنعها يقوم اثنان بعملها متعاونان

كل منهما في طرف منها ، يمسك بحبل ،ويضعان

في وقت واحد ثلاث بوصات ثم يقوما بربطها ويتكرر

ذلك حتى تتجمع مايسمونها بالسباته ومنهم من

يُسقف بها داره ومنهم من لا يستطيع بناء بيت

من الطوب اللبني فيستخدم عددا كبيرا منها ،

يدفنها في الأرض ويحيطون بها المنزل كجدار

وفي الداخل يصنعون بها غرف داخلية ،الشيخ

ادم يلبس الحذاء ويستعد للخروج لمقابلة الملتزم

ينادي على شحاته .

..فين العصايا ياابن أمك.

..ترد عليه عزيزه ..ماهي جنبك ياراجل..مالك مش على بعضك.

..(ساخراً) .. هو اللي يصطبح بيك ياعزيزه

يبقى على بعضه...

.. ايوه اتحجج بيه ، أنت من ساعت ماقالولك

جعفر عاوزك ، وانت مش على بعضك،تلاقيك

عامل عمله ياراجل.

... عمل أيه ياوليه ، الهي يعمولك عمل ماتقومي

منه ياعزيزه يابنت عثمان .

... ايوه اتشطر عليه أنا.

الشيخ أدم يغضب ويمسك العصا ويحاول أن يطول

عزيزة ، فتهرب من أمامه ثم ينادي على شحاته

..فينك يابن امك .

..انا جنبك يابا .

...هات ايدك وخلينا نبعد عن خلقة أمك اللي

وشها يقطع الخميرة من البيت .

...ماشي يابا .

يمسك شحاته يد أبيه اليسرى ويد الشيخ ادم

اليمنى تمسك بالعصا ،ويسيران عبر درب يسمونه

درب الحواشي ، نسبه لمجموعة من الحوواشه

وهم من يدقون طبول السحور في ليل رمضان بالقرية

ويستخدمون طبلة كبيرة الحجم ، مزعجة الصوت حتى

انك تستطيع سماع صوتها من على بُعد ميل .

...شحاته يحب الحلوى وكلما خرج مع ابيه طلب الحلوى

وهي حلاوة سمسمية صغيرة مستطيلة أو ملبن

وهو يباع بالقطعة.

لأبيه .

..حتجيبلي حلاوه من دكان عبدالعال عوض واحنا

راجعين يابا .

... هو انت زي أمك مابتشبعش طلبات ، انت تلاقي

سنانك سوست من الحلوى ياابن عزيزة .

.. لو ماجبتليش حلاوه حسيبك وامشي وروح انت

لوحدك.

..فعلا اللي خلفت ماماتتش وهذا العجل من ظهر

تلك البقرة ، ياواد أن حاسس رجلي فيها حاجه

بص في المركوب ياشحاته يمكن لبسته غلط

ولبست اليمين في الشمال والشمال في اليمين.

..شحاته ينظر لقدمي الشيخ أدم .

... لا يابا انت لابس مركوبك صح.

..امال رجلي مش على بعضها ليه .

.. تلاقيك خايف من جعفر يابا.

..ابوك ياواد ياشحاته مايخفش غير من ربنا

أوعى تقول كده تاني، يمكن بعض الأمور

تلتزم بعض الحيطة والحذر.

...مش فاهم حاجه من اللي قولته يابا.

... لما تفهم أمك عزيزه حتبقى تفهم ياشحاته.

أحد المارة في الطريق يلقي التحية على الشيخ

أدم فيرد له التحية ويلتفت هامسا لشحاته

... مين ده ياواد ياشحاته اللي حياني

....ده الشحات ابن الطواب يابا..

اقتربا من قصر جعفر.

...وصلنا بيت جعفر يابا.

..يدعي ربه،

يامُنجي الجحش من الوحش يارب .

أحد الخدم قاد الشيخ أدم ، حيث مضيفة جعفر

دخل الشيخ أدم ، يجلس الملتزم جعفر في كبرياء وعلى

يمينه يجلس اللزي وعلى يساره كُريم وهارون ، المقاعد

عبارة عن دكك خشبية ، أمامهم على المائدة أطباع متنوعة

من الفاكهة ، شحاته ينظر للفاكهة من بعيد فهو نادرا مايتذوقها وان تذوق بعضها فالبعض الآخر لم يتذوقه.

لم يأذنوا للشيخ أدم في الجلوس...

وظل واقفاً..جعفر ينظر إليه في غيظ وترقب

... أيه اللي قولته عشيه في خطبة الجمعة.

...قلت ايه ياجناب الملتزم .

.. كلامك عن النصارى وحمايتهم ومعاملتهم.

...ده مش كلامي أنا ، ده كلام ربنا ورسوله.

.. اللزي ضاغطاً على يده بأسنانه .

....مال خطبة الجمعة والنصارى .

..النصارى جزء من أهل القرية وفي حمايتنا.

كُريم ممتعضاً .

شكلك مش ناوي تجيبها البر ياشيخ ادم.

تدخل لواحظ ابنة جعفر ، فتاة جميلة ، رشيقة القوام

بيضاء ، عينيها واسعتان ، لها شامة أعلى ذقنها تزيدها

حسناً وبهاءاً ، سمعت بقدوم الشيخ أدم وكان قد أعجبها

ماتناقله أهل البلد عن خطبته يوم الجمعة ، وحليمة ابنة

الطواب تنقل لها كل مايحدث داخل القرية ، تًهون به على نفسها، فهي حبيسة القصر لا تخرج خارجه وأكثر ماوطأته

قدميها حديقة القصر ، بعض من فتيات القرية يزورونها من وقت لآخر....

عندما دخلت لواحظ رحبت بالشيخ أدم وأجلسته وناولت

شحاته بعض الفاكهة / موقف لواحظ لم يكن على هوى

أبيها واللازي وكريم وهارون .

..جعفر محدثاً لواحظ ، اطلعي اوضتك فيه كلام مع

الشيخ أدم.

.. فيها أيه يابا ، الشيخ ادم مش غريب.

...ينظر إليها بعين جاحظة، قولتلك اخرجي

تخرج لواحظ ولكن لا تتجه نحو حجرتها وتظل خارج

المضيفة ، الملتزم محدثاً الشيخ أدم بلهجة حادة

...انت مش حتقول اللي على مزاجك كل خطبة

جمعة ، احنا حنقولك اللي حتقوله كل جمعة

....وليه ماتطلع جنابك تخطب وأنا حكتفي بأني

أصلي بالناس .

..هارون والله فكره ، جنابك تخطب ونرتاح من خلقته.

جعفر يتلعثم فهو لا يجيد الخطابة ولا يحفظ شيئا

من القرأن والسنة وكان تلميذ فاشل في الكُتاب

يكره العلم ،

.. واخطب ليه انا هو شغلته خطيب ويخطب باللي

حنقول عليه ...ملتفتاً لهارون

..كل يوم خميس بالليل تجيني وابعتك ليه تقوله

يقول أيه كل جمعه،،ثم يحدث الشيخ

أدم

..والجمعة اللي جايه تكلمهم في طاعة الكبير

وسماع كلامه.

الشيخ أدم ولكن الجمعة اللي جايه حيبقى

صابح علينا شهر كريم شهر رمضان ولازم تكون

الخطبة عن رمضان.

..كُريم يحاول أن يظهر أنه متجاوب معهم.

محدثا الشيخ أدم.

...ماشي اتكلم عن رمضان بس ملكش دعوة

بالمقدس أرمنيوس.

الملتزم ..والخطبة اللي بعدها تكلمهم في ان

كل مافي الزمام من أرض وغيرها هو تحت تصرف

الكبير ويسمعوا كلامهم فيه .

..هارون ..اعقل ياشيخ أدم عود كبريت غلط

يحرقلك بيتك .

..الشيخ أدم...الله المستعان ويقف غاضباً ويخرج

وتقابله لواحظ وتأخذ بيده نحو الباب وتودعه برحمة ورفق

...سبحان من خلق من هذا الملاك من ظهر هذا الشيطان

... له في ذلك حكم .

يخرج الشيخ ادم بصحبة ابنه شحاته بعد أن ودع لواحظ

وشحاته في غاية الفرح والسرور ببعض الفاكهة ، فهو

يحب لواحظ وكلما جاء مع ابيه إلى جعفر لا تبخل عليه

بالحلوى والفاكهة .

على المركب

أصعب هذيان للنفس ، عندما تهذي مع ذاتها

وقد يختلفا على الزمان والمكان، فُتقلب النفس

الصحائف والأوراق بلا مرسل ومرسل إليه،الذات

تُعظم أحوال الزمن وتعشقها، والنفس تتقلب في
الحيرة والوجع دائما ، تفتش في مذكرات الأحلام
الضائعة ، والذات تخشى طرح الأسئلة، وتخشى
الأجوبة .

رحان يجلس ممسكا بالدفة ويقترب منه حسن

... قوم ياعمي ، كفايه انت كده ، من الصبح
ودخلنا على العصر وانت ماريحتش .

.. بارك الله فيك ياحسن ياابني ،

... قوم ريحلك شوية .

.. يمسك حسن بالدفة بدلا من رحان الذي
يذهب ليستريح ويقترب منقريوس من حسن

... طبعا رمضان قرب كل سنه وانت طيب

... وانت طيب وبصحة وسعادة ولكن حنعرفه
ازاي واحنا هنا في وسط الميه .

... احنا مظاهر رمضان حنقدر نحسها من هنا
.. ، من انوار الجوامع وأصوات المأذن

... انت عايش رمضان زينا.

..طبعا ياحسن ، كل نصراني بيحب شهر رمضان
.. هو شهر خير فعلاً وبنعيشه زيكم.

..نعم هو شهر كريم في كل شئ .حنكمل تعليم

عصا اليوم .

منقريوس يبتسم

.. ما شاء الله عليك ، عندك حضور غير عادي

وسرعة بديهة في رد الفعل ،إستعداد ماشفتوش

في حد قبلك ، انت بقيت في ساعات ند ليه.

...بلاش إطراء ، انا عاوزك تركز على عيوبي

...هناك عيب واحد فيك فقط ياحسن .

...أيه هو العيب اللي حسيته فيه .

...فيك بعض الثقة الزايدة ودي محتاجة

تقل لمعدل الثقة الطبيعي ، لازم تحترم

خصمك حتى لو شعرت بضعفه، الثقة الزايدة

قد تأتي بشئ عكسي ، وقد تلاقي نوع قوي

من الرجال تجد منه فنون للضرب لم تألفها

أو قوة لم تعمل لها حساباً، الحذر والحيطة

مطلوبان ، خذ من النمر قوة تربصه بالغنيمة

وخذ من الأسد قوة انقضاضه ، حتى القرد

تحتاج أن تتعلم رشاقته.

... اتفق معك ياسيدي ، نعم هناك قدر زائد

من الثقة ربما عائد على أني لم أتعود الخوف .

قصر الملتزم

إعتادت لواحظ أن تقف في شرفة حجرتها ناظرة

للغروب ، وكأنها تقف مودعة للشمس ، هي لا تحب

الليل لأنها تستشعر فيه الوحشة، غالبا ماتتسامر فيه

مع نفسها ، تقلب صفحات يومها ، مايقلل من كأبة الليل

هو حضور حليمة إبنة الطواب إليها لتُسليها بحكاوي

أهل القرية ، الأيام بالنسبة لها ، جروح بتروح وترجع

كل مافيها قاسي بيوجع ،فالأمس مر وصار ماضي

والماضي عمره ماحيرجع .

قطع تفكيرها حضور حليمة بنت الطواب فتاة سمراء

قصيرة القامة ونحيفة الجسد، هي إبنة طواب القرية

وهو من يصنع الطوب اللبن لأهل القرية، تساعدة

في عمل المخمرة العجين الكبيرة التي تحوي طين من

أرض خصبة ، وعندما تنتهي من عمل المخمرة ،تنقل

لأبيها الطين في غلق ، مُصنع من نبات الحلفا .يأخذ منها الطين ويضعه في قالب خشبي مستطيل ثم يرفع القالب

الخشبي مخلفا قالب من العجين ، ويمشي على هذا

الموال صفوفا كبيرة يصنعونها ويتركوها تجف في أشعة

الشمس وبعد ذلك يرفعونها في جانب ويضعون مكانها

طوباً آخر تم صنعه .

ترحب لواحظ بحليمه وتجلسها بجوارها.

..معلش اتأخرت عليك ياست لواحظ يومي كان طويل.

.. ولا يهمك حليمه ..انت أخبارك ايه.

..ماشي الحال ، اللي بنبات فيه بنصحى فيه.

..معاك حق أيام شبه بعضها، يعني مفيش جديد

في البلد.

..مفيش غير موضوع سديري وليله وقلق الحمداني

وسديري من اللازي ، ربنا يعديها على خير، ليله

بنت حلال ياستي وكمان سديري ، ناس في حالهم

...سمعت انهم بيحبوا بعض من زمان.

... من وهم صغيرين ورايدين بعض ياستي .

... يابختهم .

... قولي ربنا يكون في عونهم من اللازي ومكايده.

إذا حاولت الركض يوما فاصطدمت بالجدار ،أوفكرت

في الطيران فوقعت لأنك اكتشفت أن أجنحتك متكسرة

أو حاولت السباحة فتحول البحر إلى جبال من الأمواج

...وقتها عليك الرحيل بلاصوت، فالزمان ليس زمانك

والمكان ليس مكانك وأن الأشياء حولك تسخر منك

ولم تُعد تُشبهك وأن مدن أحلامك لم تُعد تتسع لك.

...الليل في النيل بلون آخر، تشعر أنك تسير فوق

ضباب كثيف اللون ، كل الكون من بعيد تظهر لك

كأشباح تنظر لك وتترقبك من بعيد ، حتى النجوم

تستشعر أنها قد تسقط من السماء.طال الليل

وحسن يجلس على مجداف المركب، حتى بزغت

خيوط الفجر ، وجد منقريوس يقترب منه و رمى له

عصاه ، ابتسم حسن فهو موعد التدريب.

.. انظر لي جيدا ياحسن وأنا ممسك بالعصا

...عليك أن تقبض عليها من طرفها السفلي

وتستجمع في قبضتك كل قوتك، لأنك لو فقدتها

بضربة قوية من خصمك ، كانت هزيمتك.

يمسك حسن العصا مثلما يفعل منقريوس

يُطبق عليها بكلتا يديه ويرفعها مثله قليلا من

الجانب الأيمن .

... الخطوة الثانية ياحسن ، هي النظر لعين
خصمك بقوة وثقة وبلا غضب،عليك بالهدوء
وأنت تنظر إليه فإن جُبن سوف يغضب ويتسرع
في قراراته،دع نظرتك وثقتك تخيفه ، اما لو وجدت
خصمك على نفس المستوى من النظرات فاشغله
ببعض الحركات بالعصا وبالجسم .

..أخذ منقريوس يتحرك يمينا ويسارا في خفة ورشاقة

...شايف ياحسن حركتي ، الحركة تُفقد الخصم توازنه

... بدأ اللعب بالعصا بين حسن ومنقريوس وحسن
بارع في صد ضربات منقريوس وخاصة أنها تأتي من
اليد اليسرى وكانت فرصة لمعرفة كيف يفكر صاحب
اليد اليسرى .

اشتدت الضربات بين حسن ومنقريوس حتى أصبحت
وكأنها معركة حقيقية وحسن يبدي مهارات فائقة
في الضرب والصد والتحرك أمام خصمه، حتى أتعب
منقريوس.

....رائع ياحسن ، كل يوم بتبهرني بمهاراتك

...الفضل ليك ياعمي.

..الفضل لذكاءك وإستعدادك ، بقيت ند قوي ليه

الآن ، بل تتفوق في بعض الأجيان.

يدخل رحان .

..متابع معاكم اللعب بالعصا وإن كنت استمتعت

بيكم ولكن كنت مرعوب من ضربة تيجي غلط

لواحد فيكم .

...حسن مايتخفش عليه يارحان، أنا اتفقت معاه

حتنزلوا عند اخوي أرمنيوس في قرية الريايِنة

وهو حيحاول يدبر لكم سكن .

...جمايلك زادت علينا يامقدس.

... ماتقولش كده يارحان ، جمايل أيه ، لومكاني

حتعملوا أكتر من اللي عملته.المهم يستقر

الوضع بيك وحسن يرتاح .

على القريوس

القريوس مسمى لمكان عالي مبني من الأحجار

، يحيط به مجموعة من المنازل على هيئة

مقلوب ـ ارتفاعه حوالي متر ، على بُعد امتارL حرف

منه بئر القرية وهي ملاصقة لمسجد القرية، خادم البئر

يسمى الملا وهي كلمة مشتقة من الملئان فهو يملأ

الماء لأهل القرية مقابل بعض الأرغفة، والبئر عميقة

لأكثر من خمسة أمتار، الملا يمسك بدلو مربوط

بحبل غليظ مصنوع من ليف النخيل فغالبنا مايستخدمون

الليف في صناعة الحبال أو ليف للإستحمام، والحبل

ينتهي بحامل خشبى معلق في حديدة ، على شكل

دائري يحركه الملا إلى أسفل عندما يُسقط الدلو

ويحركه بشكل عكسي عندما يرفع الدلو مملوءاً بالماء

فيصبه في بلاص كل فتاة تقف ببلاصها على البئر .

... يجلس محمد عوض على القريوس وبصحبته سديري

... شد حيلك علشان نفرح بيك .

هانت ياحاج محمد اهو رمضان داخل وادخل

في العيد الصغير.

.. ربنا يتمملك بخير.

سديري يتابع عن قرب ليلة وهي تملأ البلاص

وهي تختلس النظر إليه ، حتى أن محمد عوض

لاحظ مايحدث من الحبيبين وابتسم .

.. ياسيدي كلها شهر وكام يوم وتكون كلها معاك.

...يبتسم سديري

...الأيام تقيله ومش بتعدي ياعم محمد.

.. المهم أنها تعدي على خير من غير مشاكل.

... ربك كريم .

.. عثمان برطوعة جاي نحيتنا.

... تلاقيه عاوز حاجة (يضحك)

يدخل عليهم عثمان محمود الشهير بعثمان برطوعة

والبرطوعة يطلقونها على أنثى الناقة الصغيرة ، فهي

تجري بشكل مميز بالقفز لأعلى ويقولون بتبرطع

أي تجري بلا هوادة وجري عثمان محمود غريب يشبه

جريها فأطلقوا عليه برطوعه .

بادره محمد عوض

...مالك ياعثمان بتجري ليه .

...كنت بدور عليك ، الكتاب اللي عمله الشخ أدم

للعفارب، مش نافع وعشيه، عقربة لسعت الوليه.

....طيب وعم محمد عوض حيعملك ايه.

...عايزه يتصرف ويعملي وصفه بدل كتاب الشيخ

أدم .

محمد عوض يبتسم وينظر إلى سديري هامساً.

.. أعمل أيه معاه ، هو اللي بيجيبه لنفسه، اقعد

ياعثمان وأنا أقولك وصفة .

.. انت تجيب عشرين نمله دكر.

.. وحعرف النمله الدكر من النتايه إزاي.

..حقولك أنا ، تدهن دراعك عسل وتقرب بيه

من النمل ، حيتجمعوا على دراعك ، النملة

النملة اللي تقرصك، تبقى دكر ، امسكها

وحطها في كوباية فيها شوية دقيق،واقعد

امسكهم وكمل عشرين نمله في الكوبايه

... بس انا مابنعرفش أعد.

..خلي عيشه ام جمال تعدلك.

..كويس ، هي بتعرف تعد ، وبعدين.

... لما تكمل عشرين نملايه في الدقيق حط

عليهم شوية ميه وأعمل عجينه ولما تبقى

عجينه في ايدك، خد بالحته وحطها على الجدار

ولف بالعجينه الجدار كله .

....حروح دلوقت اعملها ، عيشه جتفرح قوي

بتقولي انه فيك بركه .

يغادرهم عثمان برطوعة ،وسديري كان يكتم ضحكته

وبمجرد مغادرة عثمان، انفجر ضاحكاً ومحمد عوض

ينظر إليه بكل هدوء مبتسماً.

..أعمل أيه هو غاوي يجيب البلا لنفسه

ومش بيحرم أبدا . لسه من يومين متبهدل

وعضته كلبه .

.. ليه حصل ايه .

.. جاي يقولي مفيش بت راضيه تتجوز جمال

ولدي ...و عيشه مرتي قالتلي الواد معمول له

عمل ولازم حد يفكه.

سديري يضحك بشدة وطبعا جه لبلاه وطلب

تفك العمل .

..ايوه ...قولتله محتاج تلات شعرات لكلبة تكون

لسه والده وتكون بيضا منقطة باسود.، وطول اليوم

هو واولاده يدوروا في الجبل والخرابات على كلبه بيضا منقطه باسود ، وانا ماكنتش اتخيل وجود كلبه بالمواصفات

دي ، انا بقوله اي كلام وقلت حيروح يدور مايلاقيش

يصمت وهو يتنهد.

...حصل أيه .

..لقي في الجبل الكلبه السودة والمنقطة باسود

.. معقوله .

..آه والله .

.. وبعدين حصل ايه .

.. اتهجم على الكلبه وعضت دراعه .

وجاني يعيط .

.. طبعا صعب عليك .

.. كانت عضه وحشه جامده ، وعلشان أرضيه

قولت له كده السحر اتفك بعضة الكلبة .

... وهو صدق طبعا .

.. حصل اللي اصعب من كده، بنت الفخراني

وافقت على جمال ،

..طبعا فرح بيك وانت كده فكيت له السحر

....آه ومراته خبزتلي فايش وبعتتلي دكر بط.

ليلة وداع

الوقت بعد العشاء ، الليل بلون أخر يرتدي ألوان فضفاضة

هي ليلة غير كل الليالي ، تظهر الأنوار ساطعة من أعلى

المساجد ويبدو صوت صلاة التراويح من بعيد. حسن ورحان

ومرسال ينظرون من بعيد للأضواء الملونة ، حتى السماء

تحتفل بقدوم شهر رمضان، يقترب منقريوس منهم.

...واضح أن اول أيام رمضان بكره .

..نعم ، أكاد أن أسمع صلاة التراويح.

...كل عام وأنتم بخير.

يحتضن منقريوس حسن ورحان ومرسال مهنئاً.

.. اجلسوا نتكلم مع بعض شوية .

يجلس الجميع في شبه دائرة ومنقريوس يمسح

دمعة هاربة على خده .

... الأيام بتعدي بسرعة ، عشنا مع بعض كأهل

وفراقكم حيكون صعب عليه .

.. رحان ... أكلنا عيش وملح مع بعض وعشنا

مع بعض إخوه والجميل ده مش حننساه.

... خلي بالك من حسن يارحان .

حسن محدثا منقريوس .

... جميلك ده فوق راسي ومش حنساه.

.. اسمعوني كويس ، إحنا داخلين على سوهاج

حقف عند قرية إسمها الفراسيه حنزلكم فيها

حتمشوا في اتجاه الجبل دوغري ، حتمشوا

مسافة كبيرة شوية ، لما حتقربوا من الجبل

حتلاقوا نفسكم في مدافن القرية ، امشوا على

يمينها قليلاً حتلاقوا البلده ، تسألوا على دار

المقدس أرمنيوس ، كتير حيدلكم.

يحاول أن يخفي منقريوس دموعه، وقف واتجه

إلى مكان أسفل المركب والجميع في صمت

...عاد منقريوس سريعاً حاملاً معه عصا طولها

حوالي متر ونصف ، غليظة وإسفلها ملفوفة

بالجلد الخشن ومدقوق بها عدة مسامير

يتجه نحو حسن .

.. دي هديتي ليك ياحسن ، عصاتي وأغلى

رفيق ليه ، وعمري ماتخليت عنها ولا فكرت

أهديها لأخويه ابن أمي وأبويه ، ماتغلاش عليك

ياحسن ، أنا من وقت هزيمتي من اللازي قلت

أنا لا أستحقها ودفنتها أسفل المركب وبعد اللي

شوفته منك في تدريب العصا ، قلت أنت الوحيد

اللي تستحقها .

حسن يحتضن منقريوس ويمسك العصا .

... في عيني ياعمي .

وقف منقريوس بالمركب عند بلدة الفراسية وودعهم

ونزل حسن ورحان وزوجته وابنه مرسال من المركب

ومنقريوس يلوح لهم مودعا .وبدأوا رحلة السير في

ظلام موحش ،حسن يسير بهم في المقدمة وخلفه

رحان ، سلكوا طريق ترابي بين الزراعات ، لا يخلوا

من عواء الذئاب ونعيق الغربان . رحان محدثاً حسن

...نستريح هنا شوية في أي مكان ياحسن.

... المكان كله موحش ياعمي ، إن وجدنا مكان

صالح ، نبقوا نريحوا فيه .

واصلوا السير ولكن وحشة مايحيط بهم صعبة

مابين نخيل وأشجار وجناين محاطة بأسوار طينية

تردد حسن في الوقوف لعدم صلاحية الوضع وقال

لهم .

...كمان الوقت مش حيسمح ، حنحتاجوا سحور

.... معاك حق ياحسن والمكان لا يصلح لراحة

والمشي أفضل .

..الخوف يسيطر على مسعدة زوجة رحان وتمسك

في ذيل جلبابه ومرسال يحاول أن يتونس بحسن

.. بعد سير مضني وسط الزراعات والطرق الترابية

وصلوا للترب ، تنفس حسن الصعداء وقال لهم

..هانت وصلنا للترب كما حددها منقريوس،

صاروا بين الترب والجو كئيب ومسعدة ومرسال

يخافون القبور وكأن الأموات سوف يتخطفونهم

... سمعوا صوت يغني فتملك الرعب مسعدة

ومرسال ، شعر حسن بحالتهم فطلب منهم الوقوف

حتى يتبين مصدر الصوت ، راح يقترب من مصدر الصوت

... الليل الليل وغريب أبيت فين

...فايت على دربكم منديل طرف عيني

... أبكي على حبكم ولا أبكي على عيني

بدا مصدر الصوت يقترب وكاد شبحه أن يظهر

...فايت على دربكم عطشان زقيتوني

... يازقوة الشوم يابوي ، فاضي شبكتوني

.... الليل ، الليل وغريب ابيت فين

...لم يستشعر من يغني إقتراب حسن منه

راح يكمل اغنيته .

.... الليل الليل ، وغريب ابيت فين

....فايت على دربكم والرز في كُمي

.... قامت عليه الكلاب لما بعشكته مني

الليل ، الليل ، وغريب ابيت فين .

..وضع حسن يده على كتف من يغني.

... انت بتعمل ايه هنا .؟

... الرعب تملك الرجل وحاول أن يهرب ولكن

حسن أمسك به من ملابسه ، ماتخفش.

... انتوا، انس ،ولا،جن.

... انس وقولتلك متخافش ، احنا أغراب.

... وايه اللي جابكم هنا.

... احنا جاين من مركب نزلتنا في الفراسية

وطريقنا هنا .أنت مين ..؟

..أنا بهلول الفحار (تربي ، حفار) جاي بحضر

لدفنه الصبح .

... تعرف بيت المقدس أرمنيوس .

بعد أن شعر رحان وزوجته بالأمان تقدموا نحو مصدر
الصوت ، حتى وصلوا مكان حسن .
.. ايوه أعرف بيت المقدس، بس مش حقدر أوصلكم
هناك ، أنا حوصلكم عند أول درب الحواشي اللي ساكن
فيه وحوصفلكم وانتوا كملوا .
.... صار بهم بهلول ، هو من امام ومعه حسن ومن الخلف
رحان وزوجته مسعده ومرسال .
.. بدأ دق طبول مزعج أخاف مرسال ومسعده ،حتى أن
مرسال ارتمي في ظهر جسن ممسكا بملابسه،شعر
بخوفهم بهلول وهو يتظاهر أمامهم بالشجاعة
... ماتخافوش ده خلف الحواشي بيصحي الناس
تتسحر.
..صوت الطبول مزعج كلما اقتربوا من مصدره ، وصل بهم
بهلول إلى بداية الدرب وقال لهم.
... البيت اللي قبل الآخير على ايدكم الشمال هو
بيت المقدس ارمنيوس وجرى مبتعدا عنهم .
صار الأربعة في درب الحواشي، وتقابلوا في الطريق
بخلف الحواشي المسحراتي ، يحمل طبلة كبيرة

الحجم ،معلقة في رقبته، ومعه صبي صغير، تفاداهم

خلف الحواشي وواصلوا المسير إلى نهاية الدرب

أخيراً وجدوا أنفسهم أمام البيت .هو مميز بصليب كبير

علي الباب... طرقوا الباب .

قام ارمنيوس من نومه مفزوعاً

...ياساتر يارب ، مين حيجينا دلوقت.ارتدى جلبابه سريعاً

واتجه نحو الباب ، ولم يكن حال يشعه ومريم أقل منه فزعاً

واتجهوا خلف ابيهم نحو الباب . فتح ارمنيوس الباب فوجدرحان امامه وخلفه حسن ومسعده ومرسال .رحان محدثاً ارمنيوس .

... بيت المقدس ارمنيوس.

.. ايوه ، وانا ارمنيوس.

...احنا ضيوف من طرف المقدس منقريوس.

...أهلاً وسهلاً يابني اتفضلوا .

دخلوا وصاروا خلف ارمنيوس حتى منتصف البيت

حيث يوجد ثلاث دكك للجلوس على شكل مربع فاقد

أحد أضلعه .

... اتفضلوا أهلاً وسهلاً.

يجلس جميعهم بينما يشعه ومريم ظلتا واقفتان

.. اعملوا شاي يابنات ولا استنوا يمكن الضيوف

محتاجين سحور.

ابتسم حسن من ذكاء أرمنيوس فهو يجهل عقيدتهم وأراد معرفتها بذكاء.

...أنا حسن يعرفه بالعائلة وده عمي رحان وزوجتة وابنهم

مرسال ، جينا من طرف أخيك المقدس منقريوس

وباعتلك أمانة .

....يسلمه حسن كيس من النقود دي أمانة المقدس

منقريوس .

... كتر خيره ، دايما فاكرنا ، يعرفه ببناته فيسبقه حسن

.. يشعه ومريم ، كلمنا عنكم كتير المقدس منقريوس

ينظر ليشعه ومريم .

.. حضروا سحور للضيوف ، (ينظر لهم) أكيد ناويين

على الصيام .

رحان ..ان شاء الله صايمين .

حكى رحان قصته لأرمنيوس وأنهم من المحروسه

و فقدوا بيتهم ومتاعهم في ثورة للأهالي وقرروا الهجرة

للصعيد وأن سبب نزولهم سوهاج هو كان فكرة من

منقريوس واحتفظ رحان بالتفاصيل الخاصة ،تناول

الضيوف السحور ،ثم أخذ ارمنيوس رحان وحسن

ومرسال لحجرة للنوم فيها ، بينما يشعة ومريم تكفلتا

بمسعدة زوجة رحان.

ما أقسى بعض القلوب وأقبحها تلك القلوب التي

تخلت عن إنسانيتها ، هي لاتؤمن ببداية ولا تأبه

لنهاية، هي قلوب صماء لا تجيد سوى الكلام

لاتعرف المسامحة وجبُلت على الأذى ، قلوب

يورثها الكبر الكراهية وحب الأذى، تخلت عن

هويتها ولا تحركها سوى شهوة الشر،تعتقد في

نفسها أنها سيف القدر المُسلط على رقاب البشر

...في الصباح بينما ضيوف ارمنيوس نيام ، كُريم

وهارون وحفنة من الرجال يطرقون باب منزل

ارمنيوس ،هو يدرك جيداً من القادم وماذا يريد

أنهم يريدون أن يرحل هو وبناته من القرية ويتركون

منزلهم وأرضهم ويرتحلون إلى منطقة الدير ،ارمنيوس

يفتح لهم الباب محاولاً أن يستعطفهم بعض الأيام

ولا يحرجانه مع ضيوفه ، يشعه ومريم في فزع

وهلع وبكاء.

..اسمعني ياكريم أنا عندي ضيوف ماتكسفونيش

....ادوني كمان اسبوع، وأنا حدبر حالي.

... ولا يوم تاني ،ودلوقت لو ماطلعتش انت

وبناتك، حنطلعوك بالقوة ونرموكم بره البيت

أهل القرية يعلمون نية جعفر في طرد ارمنيوس

ورغم أنهم يعلمون أن الوقت الممنوح لارمنيوس

عشرة أيام وباءت كل محاولاتهم في الإبقاء على

ارمنيوس بالفشل ولكن قدوم شهر رمضان أنساهم

أن آخر مهلة في العشرة أيام كانت صباح أول أيام

الشهر الكريم،كريم وهارون يغلظون في القول ويعنفون

ارمنيوس ليسرع بإخلاء داره، يشعة ومريم خرجتا تصرخان

بأعلى صوتهما متهجمتان على كريم الذي لم يراعي

حرمتهما ودفع كلاهما على الأرض،مرسال فقط هو

من قام من نومه على الصوت اما الباقي فالتعب

قد أنهكهم فراحوا في نوم عميق ، لم يشعرهم بما

يحيط بهم من أحداث ، خرج مرسال وشاهد بعينه

دفع يشعه ومريم من رجل غليظ الطباع وشاهد تهديده

وطلبه منه أن يخلي داره ، فذهب مسرعاً ليوقظ

حسن ،

.. قوم ياحسن ، فيه مصيبة بره.

.. بعد عناء في محولة إفاقة حسن ،

حسن

..فيه ايه يامرسال .

... فيه ناس بيتهجموا على ارمنيوس وضربوا

بناته .

حسن قام مفزوعاً

....ناس ، ناس مين .

... معرفهمش قوم بسرعة .

يرتدي حسن جلبابه ويمسك عصاه ويخرج مسرعاً.

فيجد ارمنيوس وخلفه بناته يستميتون في عدم دخول

رجال كريم وهارون فيدخل من الأمام واضعاً ارمنيوس

في ظهره هو وبناته وقام بدفع رجال كريم للأمام

.. ارمنيوس ، ايه اللي جابك ياحسن يابني.

...عمي خد يشعة ومريم واوقف بيهم على جنب.

أهل القرية يتابعون الموقف حتى الشيخ أدم أتى مهرولاً

مع ابنه شحاته ، حسن نظر لهم وجد خمسة رجال ..

وخلفهم كريم وهارون

حسن .... ممكن أعرف أنتوا عايزين أيه .

كريم في سخرية

.... ممكن نعرف انت مين .

... تقدر تقول حسن وبس، انت مين ؟

أحد رجال كريم لم يعجبه كلام حسن ورفع يديه

محاولاً ضرب حسن وقائلاً..

.... ده سيدك كريم ياابن الفرطوس.

..أمسك حسن بيد الرجل وكاد أن يكسرها ودفعه

بقدمه فسقط على الأرض .

... الأهالي قتلتهم المفاجأة من هذا الموقف ومن

وجود هؤلاء الغرباء ، الشيخ ادم مستفسرا من شحاته

.. فيه ايه ياابن امك ، احكيلي بيحصل ايه.

.. فيه واحد غريب معرفوش بيمنع رجالة كريم

من دخول البيت .

حسن , مخاطبا كريم وهارون .

... قولولي عاوزين ايه.

... تفضوا الدار دلوقتي وإلا مش حيحصل كويس.

...نفضيها ليه ، هي داركم ولا داره.

...محدش هنا له بيوت وكل بيوت البلد بيوتنا

نقعد فيها اللي عاوزين نقعده، ونمشي اللي

عاوزين نمشيه .

.... عافيه يعني ؟

.. اعتبرها عافيه ؟

... زي مااخدتوا دار منقريوس

... ايوه زي مااخدنا دار اخوه .

... ولكن دار اخوه اختوها بالعصا لما خسر.

كريم يضحك بصوت عالي هو وهارون .

..اه ، لكن كان نفسنا ارمنيوس يكون له في العصا

لكن حظه أحسن من اخوه حيخرج بصحته كامله

يضحكون في سخرية .

... خلاص نخلي العصا هي اللي تحكم بينا.

... ومين بقى اللي مستغني عن عمره .

... تقدر تقول واحد غلبان ،أنا جاهز بالعصا

ومن يشاء يتقدم للعب معي ، لو خسرت من واحد

منكم ، حلال عليكم الدار وحنسيبها ليكم دلوقتي.

.. يضحك كريم ويتجه لارمنيوس الذي نظر إلى عصا

اخاه منقريوس التي عرفها منذ أن دخل بها حسن

وهو يدرك قيمتها بالنسبة لأخيه ولا يهديها لأحد

بسهولة .

.... موافق على كلام ضيفك ياارمنيوس ، لو خسر

حتسيبوا الدار دلوقت .

ارمنيوس ينظر إلى حسن ويهز له حسن رأسه.

... موافق على كل كلام حسن والرب موجود.

تقدم حسن إلى المنتصف بعصاه ، أهل القرية نسوا الصيام

لم يعودوا يشعرون بالجوع والعطش ، في صمت وذهول

حتى أن بعضهم تخيل نفسه في حلم ، وراح يفرك

عينيه حتى يتأكد أنه غير نائم ،الشيخ أدم في فضول

غير عادي محدثا شحاته .

.. مالك ساكت ياابن عزيزه ، فيه ايه قولي، ارمنيوس

ترك داره .

.. والنبي استنى يابا ، مش وقته، حبقى اقولك.

كريم أشار لبكر للنزول لحسن للمبارزة.، تقدم بكر

بحماس غير عادي محاولاً اثبات شجاعته لكريم

وتقدم نحو حسن وما إن رفع عصاه بيديه ليوجه

ضربة مفاجأة لحسن الذي تفاداها واعطاه ضربه

عكسيه في كتفه الأيمن فسقط على ركبتيه صارخاً

وقعت عصاه وأمسك بكتفه .

.. الأهالي يهللون ويصفقون لحسن والغيظ يملأ

كريم وهارون، والإبتسامة المصحوبة بدمعة فرحة

عرفت طريقها ليشعة ومريم مع بداية شعور ببعض

الأمان ، الشيخ ادم يسمع ضجيجاً حوله وكلام

عن حسن وضربة بكر،

.. فيه ايه ياابن عزيزه، حاسس ان الناس مبسوطه.

.. حسن ضرب بكر ، رجل كريم .

... حسن مين ياابن امك .

... الراجل الغريب اللي عند المقدس يابا.

... سبحان الله في كرمه وكرم شهره الكريم

يظهر أنه ارسل ملاكًا لنجدة المقدس.

.... استنى يابا خلينا نشوف حيعمل ايه مع التاني

طلب كمان هجم عليه بعصاته .

تقدم طلب نحو حسن وهجم على حسن ولكن حسن

صد ضرباته وسرعان ماضرب طلب ضربة في صدره

قبل أن ينزل عليه بعصاه ، فسقط طلب على الأرض

كريم وهارون بدأ يتسرب لهما القلق والتوتر وحسن

بدأ ينظر لهم كأنه يطلب أحدهما .

... مابدهاش ياهارون، لازم واحد فينا ينزل يأدب

الواد ده ..؟

... انزله انا ..؟

... لا خليك ،أنا اللي حنزله .

تقدم كريم في اتجاه حسن والصمت يطبق على كل الوقوف

من الأهالي ، في حالة ترقب ، هم يدركون قوة كريم

وانه بمقدوره ضرب اكثر من رجل ولم يسبق أن هزمه

أحد سوى اللزي فهو أقواهم، الشيخ ادم لشحاته.

... مش سامع صريخ طفل ابن يومين، فيه ايه ياواد

ياشحاته ..؟

... استنى يابا، كريم هو اللي داخل بعصايته.

.. ربنا على المفتري، اسمع ياواد ياشحاته

اوصفلي كل اللي حيحصل وانا اوعدك ، اخدك على

دكان عبداللاه عوض واجيبلك ملبن وحلاوة.

... بتتكلم جد يابا .

... جد الجد وحياة أمك عزيزة .

... ماشي يابا .

كريم يدخل على حسن بكبر وغرور .

... انت مش ناوي تجيبها البر وأنا أوعدك

اني اطلعك من هنا على نقاله ومافكش نفس واحد.

.... اللي بياخد الروح، أجلها بس، مش انت ياكريم.

... وعارف كمان إسمي .

...وهل يخفى الشيطان على مؤمن .

..أنا اللي جاي اقبض على روحك.

...الروح الرخيصه هي اللي تقبل تعيش في

ذل وهوان ، والروح الغالية تمنها غالي وتموت عزيزه

وشريفه ، ياريت تبطل كلام وتورينا فعلك.

ارمنيوس يشفق على حسن ووتتساقط دموعه

على خده وحال بنتيه لا يختلف عنه كثيراً ورحان

ومرسال أصابهما الخوف والتوتر ومسعدة تكتم صرختها

والشيخ أدم يقتله الفضول ،

... بيحصل ايه ياواد، قولي حشبعك ملبن.

... كريم هجم على حسن بعصاته وضرب ضربه

صدها حسن .

... ايوه وبعدين (الشيخ ادم يحرك ذراعه وكأنه في المعركة)

... حسن ضرب كريم ضربه جامده.

... ايوه .

.. كريم صدها .

..ياخساره.

.. ضربه من هنا وصده من هنا والمعركة حميت اوي

يابا ، حسن ضرب كريم ضربه قوي طارت فيها عصاته

.... وبعدين ، اكيد نزل عليه ضرب.

.. لا ، حسن شاط عصاة كريم برجله وناولها ليه.

تناول كريم عصاته ونظر لحسن الذي واتته الفرصة

لضربه وتعجيزه ولكن ناوله عصاه،احتدم الضرب

والصد بين الإثنين فترة من الزمن حتى صد حسن

ضربة لكريم وأعقبه ضربه له في يده فأعجزها

وسقطت العصا من كريم وسقط على الأرض

ارمنيوس يتذكر نفس الحالة ونفس سقوط اخيه

منقريوس وكأن القدر ينتقم لأخيه، حمل هارون

ورجالته كريم وانسحبوا من المشهد وفرحة عارمة

لأهل القرية وتقبيل واحتضان لارمنيوس وثناء على

حسن وكانت فرحة يشعة ومريم كبيرة حتى انهما
تمنيا تقبيل حسن وشكره .
اقترب موعد إذان المغرب في القرية وأهل القرية
يترقبون في صمت أمام مواءدهم، الكثير يتشح
بثوب التدين في شهر رمضان وإن رحل ، خلع هذا
الثوب ، ليتنا نعمل طول العام على أن نغرس في
كل ثانية تسبيحة وفي الدقيقة فكرة وفي الساعة عملاً
فكل الناس سوف تعيش، الغني والفقير، السعيد
والحزين ، الكبير والصغير، ولا ندع الأشياء التافهة تقودنا
للجنون .
بعد صلاة العصر بقليل من الوقت يتجمع شباب القرية
وأطفالهن عند القريوس يلعبون ويلهون حتى موعد آذان
المغرب وأشهر الألعاب التي يمارسها الشباب لعبتي
الطق والشلح والطق هي لعبة يحفرون فيه حفرة
صغيرة في حجم عقلتي إصبع ويضعون فوقها قطعة
من الجريد لاتزيد عن الخمسة سم ويمسكون بعصا
يرفعون بها القطعة التي على الحفرة ويضربونها
فإن سقطت يلعب آخر وان نجح في ضربها يقوم
بالعد باللعصا التي يمسكها من مكان وصول القطعة

الصغيرة حتى حفرتها ، ويستمر في اللعب طالما هو ناجح

في إصابة القطعة الصغيرة ، اما الشلح فلا تختلف عنها

في المكونات من قطعة صغيرة وعصا وحفرة ولكن تختلف

في طريقة اللعب ، حيث يقف الخصم على بعد أمتار

ممسكا بجريدة وينتظر الآخر أن يدفع القطعة الصغيرة

بعصاة بالضرب من اسفل ، فإن استطاع لمسها قبل

أن تصل الأرض يكون قد كسب ويُبدل موقعه مع الآخر

وإن لم يستطع لمسها ووقعت ، عليه أن يمسك بها

ويرمي بها نحو الحفرة ، فإن وقعت قريبة منها بحجم اقل

من عصا خصمه التي يدفع بها يكون قد ربح ويبدل

الأمر مع خصمه . وإن جاءت بعيدة عن الحفرة ، فخصمه

هو الرابح ويقوم بالعد بعصاته من موقع القطعة حتى الحفرة.

... لا توجد سماعات أو آلات تمكن الاهالي من معرفة

الأذان فكان منهم من يذهب للمسجد ويصلي ويعود

ويفطر بأسرته ومنهم يعتمد على عودة الشباب

والأطفال إلى بيوتهم بعد الآذان وصياح الأطفال

في الدروب بإغنية

يدن ، يدن

والعيش عطن

كلته البقرة الهرارة

فيبدأ الأهالي في تناول الإفطار.

لواحظ على مائدة الإفطار هي وجعفر أبيها ،تراقبه

لم يتناول إفطاره بشكل جيد،الوجوم يسيطر على

وجهه .

... فيه أيه يابا ، انت ما اكلتش كويس.

..أكلت الحمد لله.

...انت لقمتين وقمت ، مش عادتك يابا.

...ماترغيش كتير معايه وبطلي زن .

صبت الماء لأبيها ، غسل يده وناولته فوطه للتجفيف

هي تراقب ملامح وجهه جيداً ، تعلم تقاسيمها ، تقرأ

حالاتها في الفرح والغضب وأبيها لا يكون في هذه الحالة

إلا لأمر جلل وخطب عظيم ،أتت له بكوب الشاي ، الذي

يفضله بعد تناول الطعام ، وضعت أمامه كوب الشاي، لايزال

في حالة شرود ، يبدو وكأنه يتحدث مع نفسه مع كل رشفة شاي، هي تفكر ، ما هذا الأمر الذي قلب مزاج

أبيها وأوصله لتلك الحالة ،حدثت نفسها ، لو كان الأمر

أهل البلدة فسوف تعلم تفاصيله من حليمة ولو كان

يخص أبيها ورجاله لاشك أنها سوف تعلمه،فضول

غريب إستعمر لواحظ ،ففراغها قاتل وتُشغل نفسها

بما يحدث هنا وهناك دون أن يكون لها بصمة في شئ

هي من النوع المستمع جيداً للأجداث، قطع شرودها

صوت طرقات الباب ، خرجت مسرعة لتفتح الباب، دخل

اللزي وخلفه هارون وكلاهما الغضب والشر يعتريهما

ليس بملامح اول يوم لرمضان كما إعتادت ، فالعادة

يتجمعون بعد الإقطار، ويتسامرون، ويضحكون ،وهم يتناولون

سيرة أهل البلدة ،ويحكون مواقفهم وكيف كان يومهم

ويسخرون بمن يكون بطلاً لحديثهم، الضاحك والساخر

لا يفكرون مرة في صلاة التروايح ،حتى صلواتهم العادية

يؤدونها بإهمال وروتين ،ويجمعون الأوقات في وقت

واحد، يؤدونها قبل خلودهم للنوم، مايحدث اليوم غريب

والأغرب ،هو الوجوم الذي اكتنف اللزي وهارون ولم

يكلفا نفسيهما إلقاء التحية عليها ، أوتهنئتها بالشهر

الكريم ، راحت تسترق السمع بالقرب من باب

المضيفة كما إعتادت لعلها تعرف سبباً لحفلة الغضب

الجماعي التي تحيطها .

جعفر معاتباً اللزي بعنف

... أيه اللي حصل ده ؟وازاي يحصل؟

...معرفش جنابك أنا زيي زيك، سمعت باللي حصل

من الرجاله .

وكنت انت فين وقت ماحصل ؟

...كنت في الجنينة بمر عليها، واشوفها قبل بيع المحصول.

... يعني كان لازم تسيبهم لوحدهم، وانت عارف

إنهم رايحين يطردوا المقدس .

لواحظ تسترق السمع، وتقترب أكثر فأكثر، فلا يزال

حديثهم غامض بلا ملامح تكشف أمورها ولكن

طالما أتت سيرة المقدس أرمنيوس ، يبقى الأمر

يخصه ، فماذا حدث ، لابد أن الرجال ارتكبوا خطأ

ما وقتلوا ارمنيوس ويكون قد حاول مقاومتهم،

أم يكونوا تعدوا على يشعة أو مريم، بدأ الفضول

يعتريها أكثر وأكثر ، حتى نسيت أن تقدم لهم الشاي

إلتصقت بالباب من خلفه لتسترق السمع بوضوح

.... أنا ماكنتش فاكر أن الأمر ممكن يحصل فيه كده

وقلت ارمنيوس هو ووبناته ولا يستدعي الأمر

وجوده ويكفي كريم وهارون وباقي الرجاله .

هارون يتحدث بكسرة نفس ،حاني الرأس.

... ولا احنا جنابك كنا متوقعين كده، ماكناش نعرف

بموضوع الضيوف .

اللزي..

أنا عرفت إن الضيوف دول وصلوا فجر اليوم

ومحدش حس بيهم ولا حد يعرف مين هم.

الأمور تزداد إثارة وفضول لدى لواحظ ومين دول

الضيوف اللي جم صباح نفس يوم طرد أرمنيوس

هارون محاولاً أن يجعل له مخرجاً

...أكيد جنابك دول ارمنيوس كراهم بفلوس

علشان يجوا يحموه ، الولد قوى ومش سهل

اللزي معترضاً على كلام هارون .

.. لا مش معقول ، من اللي سمعته انهم راجل

كبير وزوجته ومعاهم فتي صغير والشاب اللي

ضرب كريم ورجالته ومش ممكن دول يكونوا مكريين بأجرة

جعفر .

.. يمكن ارمنيوس إستجار بيهم.

... اللزي

ممكن يكونوا معرفته أو معرفة أخوه زي ماسمعت

... ورا الأمر سر ولازم نعرفه ولكن اللي غايظني

ومطير الراحه مني ، ازاي الواد المفعوص ده

يضرب اتنين رجاله ويضرب كريم .

ادركت لواحظ سبب غضب أبيها وفرحت لنجاة

ارمنيوس وفشل أبيها في طرده ، فهي تحب هذا الرجل

الطيب وتسمع عنه وبناته كل خير، إكتفت بما

سمعت فباقي التفاصيل سوف تسمعها بإستفاضة

من حليمة ومن الواضح أنهم تلقوا هزيمة منكرةلن

يتحدثوا عن تفاصيلها ولا شك أن حليمه شاهدت

وتابعت ما حدث وسوف تخبرها بكل شئ .

لكن من يكونوا الضيوف، ولكنهي خمنت أنهم أقارب

لأرمنيوس، تذكرت الشاي ودخلت تعده لهم

وهي في نشوة من ضرب كريم ، هذا المتعجرف

الثلاثة في وجوم ،وتوتر، جعفر واللزي وهارون

.. وحالة دراع كريم ايه .

... مابيقدرش يحركه وجبناله سمعان الحكيم

لبخ دراعه بالعجين وربطوا ليه وقال مايحركش دراعه

طول شهر رمضان.

...دخلت لواحظ بالشاي ووضعته أمامهم ولم يتوقف

حديثهم وإستبطأت في المشي.

اللزي يتحدث مع ابيها

... دلوقت اللي نفكر فيه أيه العمل.

هارون مقاطعاً

... لو ضيوف حيقضوا كام يوم ويمشوا ونرجع نكرش

المقدس .

لم يعجب اللزي كلام هارون.

يمشوا ايه ، ولو مامشيوش، ومين حيسبهم يمشوا

يمشوا وسيبولنا عار ضرب كريم والرجاله وأهل البلد

يتشفوا فينا .

كلام اللزي أتى على هوى جعفر.

.. انا معاك في كلامك ولكن لازم نفكر ، حنعمل ايه

وقفت لواحظ قبل أن تصل الباب لتخرج محاولة

معرفة رد فعلهم ولكن جعفر لمح تثاقلها فنهرها

.. اخرجي ياللا يابت .

.. حاضر يابا.

تظاهرت بالخروج وراحت تتابعهم من خلف الباب.

اللزي محدثاً جعفر.

... حخلي طلب وبكر يراقبوا دار ارمنيوس ليل

ونهار ، ونستنى بس يتحرك من بيت ارمنيوس.

ماتقلقش أنا حتصرف .

منزل ارمنيوس

يجلس حسن وارمنيوس على الدكة ،ويجلس رحان

على دكة وبجواره زوجته ومرسال، وعلى الدكة المقابلة

تجلس يشعه واختها مريم .

مريم وهي تبتسم

... كان يوم صعب والحمد لله عدى على خير.

تتجه بنظرها نحو حسن

.. تصدق ياحسن بقالنا شهور في نكد ولا دخلت بيتنا فرحة

يشعة تأكيداً على كلام مريم .

... ربنا بعتك نجده لينا ياحسن .

ارمنيوس

.. سبحان الله هو اللي رتب كل شئ من دخلولكم

مركب اخويا منقريوس حتى وصولكم هنا ووقفتكم

اللي مش حنساها.

يشعه بفرحه

تعرف ياحسن ماعندناش اخوه صبيان ولم بقيت

متابعاك وانت واقف زي الأسد ليهم ، تعرف حسيت

بأيه ..تبكي يشعه بحرقة .

حسن محاولاً التخفيف عنها

...ماقولنا بلاش دموع يايشعه ولا بتبكي علشان حسيتي

بحاجة وحشه مبتسماً

بشعه وهي تمسح دموعها

.. لا ياحسن حسيت بإحساس عمري ماحسيته

حست بيك أخويه بجد ابن امي وابويه وتواصل البكاء

حسن يطيب خاطرها .

.. وأنا اخوكي يايشعه أنت ومريم ، واعتبرتكم أهلي

ومش حسمح حد يدوس على طرف حد فيكم او يدهس

كرامتكم .

رحان

ربنا بيسبب الأسباب يابنتي

تقترب مسعده من يشعه وتحتضنها ويشعه تبكي

في صدرها

لم تنتظر حليمه وقتاً طويلا للذهاب إلى لواحظ، فما إن إنتهت من عمل البيت ومساعدة امها وذهاب أبيها

لصلاة التراويح حتى سارعت في الدرب ، تسابق الريح

وتقطع ممرات السكون ولا تعبأ بنباح بعض الكلاب حولها

هي تدرك أن لواحظ في إنتظارها .

.. وصلت لباب القصر وأدخلها الحارس وطرقت الباب

وكأن لواحظ تتابعها ، فلم تأخذ وقتا طويلاً حتى فتحت

لواحظ التي جذبتها من يدها وطارت بها إلى الدور الأول

علوي حيث غرفتها ـ حتى أنها لم تمهلها إلتقاط بعض

الأنفاس وسرعان مابادرتها بالسؤال .

.. ياللا بسرغة احكيلي ، ايه اللي حصل عند بيت

ارمنيوس ، أحسن أنا سايبه أبويه واللزي مش على

بعضهم من اللي حصل .

... اللي حصل ياست لواحظ انا يمكن لحد دلوقت

مش مصدقاه ، أول مرة أشوف كسرة نفس لكريم

وهارون والرجاله .

... اجكيلي أيه اللي حصل .

.. اللي حصل من حسن ياستي ولا حكاوي الشاطر حسن

.... حسن ، حسن مين ياحليمة ؟

... حسن ضيف المقدس اللي ضرب كريم والرجاله.

... هو اسمه حسن .

.. ايوه ياستي,

... مسلم زينا يعني.

.. ايوه ياستي .

.. انا افتكرت انه قريب ارمنيوس ونصراني زيه.

... لا ياستي احنا سمعنا انهم ضيوف .

فرحة عارمة عمت لواحظ وراحت تستعجل الكلام

من حليمه .

... قولي كل حاجه ياحليمه اوعي تسيبي حاجة

حصل ايه، وشكله ايه .

.. زي فلقة القمر ياستي ، راجل ولا كل الرجاله

قصت لها ماحدث بالتفصيل ولواحظ تنصت لها

بإعجاب حتى أنها لا تتمنى أن ينتهي الكلام عن

حسن .

.. وتلاقي أهل البلد فرحوا بيه .

... مفيش وراهم ياستي غير سيرته طول اليوم

البلد كلها كأنها في عيد،

.. لأنهم بيحبوا ارمنيوس وهو رجل طيب هو وبناته

.. ايوه صح وكمان اللي عمله حسن علشانه خلاهم

يتنفسوا شوية ويخرجوا المر اللي كاتم علي عليهم .

..بس ربنا يستر على حسن ياحليمه .

... فيه أيه ، الناس بتقول ابوكي واللزي وهارون

مش حيعدوا اللي حصل ده .

.. أيوه ياحليمه وبيدبروا المكايد لحسن، سمعتهم

بيقولوا انهم حيراقبوا دار ارمنيوس صبح وليل

... يعني حيتربصوله طول اليوم.

... ايوه ياجليمه .

عند البئر

إن كان بإستطاعتك أن تمنح الناس الأمل فلا تبخل عليهم به ، حتى ولو كان أملاً كاذباً لا يضر ، فالإنسان يمكنه أن يعيش بلا بصر ،ولكن صعب أن يعيش بلا أمل ،فلابد من شعلة الأمل ،لتضئ ظلمات اليأس، ولابد لشجرة الصبر أن تطرح يوماً ثمار الأمل ، فسفينة الحياة، لن تغرق طالما هناك ربان اسمه الأمل .

فتيات القرية يتجمعن عند البئر ،وخلف الملا يمارس وظيفته

يترقبن أدوارهن ،وهن في أحاديث جانبية، عن أحوال أهل

القرية وما حدث عند دار ارمنيوس ، من تمتلأ بلاصها ترفعها

على رأسها، وتضع مايسمونه لوايه من القماش على شكل دائري تحفظ توازن البلاص وتسير بها في الطريق دون أن تسخدم يديها.حليمة كلما أتى دورها تتنازل عنه لغيرها

وتنظر للطريق وهي في قلق وتوتر ولا تفصح أن سبب

توترها وعدم استعجالها لتحمل بلاصها وتغادر،الفتيات

يتعجبن من موقف حليمه والتي سرعانماابتسمت

بعد أن لمحت يشعة قادمة ، وصلت يشعه إلى البئر

ولم تتخيل ترحيب الفتيات. بها وتقديمها عليهن حتى تأخذ

الماء قبلهن والفتيات يتسابقن عن التنازل عن دورهن

ولم تتعجب يشعه كثيراً من هذا الإحتفاء وهي دائماً تجد التجاهل منهن ولكن يبدو أن سيرة حسن هي السبب

في تلك الحفاوة .

..اقتربت حليمه وانفردت بيشعه في جانب بعيد عن الفتيات

...فيه حاجة ياحليمه .

... ايوه يايشعه ، قولي لي حسن يخلي باله.

... يخلي باله من ايه .

.. هو في خطر ، بيدبروا ليه مكيده .

.. مين اللي بيدبر.

..حيكون مين غير جعفر واللزي وهارون ،أنا كنت عند

لواحظ عشيه وسمعت منها أنهم بيدبروا ليه مكيده .

... الرب حينجيه من كل مكروه وحيفسد مكايدهم

وانا بشكرك ياحليمه انك نبهتيني ، خلي الكلام

ده في سرك .

... ماينفعش يتقال قدام حد.

.. داخل المسجد

خطبة الجمعة

الشيخ أدم على المنبر يخطب خطبة الجمعة وجعفر

واللزي وهارون يتربصون به وبحديثه وينتظرون منه

أن يتحدث فقط عن فضائل الصيام ومبطلاته فقط

وأن يسير خطابه جسب هواهم ويعتبرونه تجديد

في تغيير الخطاب الديني ولكن الشيخ أدم بمكر

ودهاء راح يحدثهم عن أعظم كلمة وهي الله وعظمتها

أن لا ننطق بها إلا حقا وفي موضوعها ولا نجعل الله

عرضة في قسم بغير حقه ، وتحدث عن نواقص البشر

وأهمية الحاجة للكمال الروحي فهي الكلمة الأصعب

وراح يوضح لهم أن أقوى كلمة هي الحق وأضعف

كلمة هي الباطل وأن أهل الباطل في عصيان دائم

للخالق فأوسع كلمة لديهم هي الكذب رغم أنها

أضيق كلمة وأن الصدق هو الكلمة الأوسع..

.... جعفر واللزي وهارون ينظرون له بتربص .

...وجوه المصلين تركت الخطبة واتجهت نحو باب

دخول المسجد وتعلقت في فضول على دخول حسن

وخلفه رحان ومرسال لأداء صلاة الجمعة وراحت أنظارهم

تترقب وقع دخول حسن على جعفر واللزي وهارون وانظارهم التي اتجهت نحو حسن في غيظ وحقد .

... لم يستمع حسن لكلام ارمنيوس الذي حاول منعه

من الخروج ولكن حسن صمم أن يؤدي صلاة الجمعة

مع أهل القرية .

.. الشيخ أدم يتحدث في أن أفضل كلمة المساواه وأنها

لا تتحقق إلا بالعدالة وأن الظلم هو الكلمة الأقبح ومضادة

لها وأنها تتحقق بالباطل .

....لا أحد من اهل القرية يبدو متابعاً للخطبة ونظرات

المصلين تتنقل بين حسن وجعفر ورجاله، يبدو حسن

رابط الجأش قد يكون الوحيد الذي يتابع الخطبة.

.. راح الشيخ أدم يتحدث عن أقسى كلمة وهي القسوة

وهي لا تأتي من قلب سليم.

... جعفر لاله إلا الله يامولانا .

عندما سمع الشيخ أدم جملة لا اله إلا الله بدأ يُنهي

خطبته بالدعاء ، ثم أقام الصلاة، فهو قد تذكر جعفر

وهو يفرض عليه مايقول في كل خطبة وإذا قال له

وهو يخطب لااله إلا الله ينهي الخطبة .

.. إنتهت خطبة الجمعة والتف المصلين خارج المسجد

يسلمون على حسن في موقف أثار غضب جعفر

واللزي وهارون فانصرفوا سريعاً بعيداً عن المسجد

وفي وسط الزحام تقدم رجل من رجال اللزي وطعن

حسن بسكين في جانبه، حسن تحامل على نفسه

وبسرعة بديهة امسك يد الرجل واخرج بها السكين

وقام بلوي ذراع الرجل نحو قلبه وهو واضعا يده على

يدالرجل الممسكة بالسكين ووجهها بقوة لبطن الرجل

فسقط الرجل قتيلاً على الأرض وسقط حسن جريحًا

مرسال وأبيه رحان في حالة صراخ وبكاء، حسن فاقد

النطق تماماً، قام سديري بحمل حسن بمساعدة

حمدان واتجهوا به في خطوات سريعة نحو دار ارمنيوس

وخلفهما رحان ومرسال يبكيان بحرقة وبعض الأهالي

ساروا خلفهم حتى وصلوا بحسن لدار ارمنيوس

سديري وحمدان وضعا جسن على الدكة ،سديري

يسمع نبض حسن .

... الحمد لله.

يحدث حمدان

.... فيه نفس وهو عايش، قلعه معايه قفطانه بسرعة.

وطلب من يشعة أن تجهز ماء ساخن وتضع سكيناً

على النار حتى تحمر، تزع جلباب حسن ومزق الملابس

الداخلية التي تعلو الجرح ، أتت مريم بالماء الساخن

وأخذ سديري يطهر الجرح،طلب من الجميع الخروج وبقاء حمدان معه فقط وسأل عن السكينة اللي على

النار ، أتت بها يشعه مسرعة والإحمرار يظهر عليها ويتصاعد

منها الدخان ، سديري

.. بسم الله الشافي والعافي ووضع السكين على الجرح

وصرخة قوية من حسن أعقبها إغماء بعد أن كوى الجرح

ليلتئم......زقام بوضع قماشة على موضع الجرح وربط

الجرح

يشعة ومريم في بكاء وحرقه، يحاولن هن وارمنيوس

أن يتبينوا ما حدث، لم يجيبهم أحد من الأهالي الذين

دخلوا الدار ليطمأنوا.

ارمنيوس محدثاً رحان.

... أيه اللي حصل فهمني.

.. ولا حاجة ، خرجنا من الجامع وماشيين في امان الله

ولقينا اللي هجم على حسن وطعنه.

.... أكيد حد من رجالة جعفر .

.. لقي جزاه من حسن وإن شاء الله ربنا يرد لنا حسن

سالماً.

الإنسانية دائما معذبة ،على مر الزمن في صراع،

لو أحصينا مالحق بها من أضرار على مر التاريخ

الإنساني يفوق مالحق بها من خير،الإنسانية

تتأرجح بين صعود وسقوط ،قتل ، تعذيب ،جوع

سادية ،يصعب علينا الحق ويسهل علينا قول

الباطل ، عندما نصلي ونقترب من الله ونقرأ كتبه

يغالبنا النعاس وما إن نفرغ منها حتى يدب فينا

النشاط ، الإنسان في تناقض دائما ، يحب الله

ويعصيه ويكره الشيطان ويطيعه ، هي معادلة

تُفكك الإنسانية، نخشى مراقبة الناس ولا نخشى

مراقبة الخالق، نذكر عيوب الناس ونشغل أنفسنا

بها ولا نفكر في عيوبنا، هو يعلم جيداً أنه سوف

يموت وحده ويحاسب وحده ويبعث وحده وينال

ثوابه وعقابه وحده ومع ذلك يشغل نفسه بالناس

ولا يشغل نفسه بنفسه .

كارثة البشر ليست في ظلم الأشرار ولكن في صمت

الأخيار ، بلاهة الطغاة في سعيهم لمجاراة الكون

في سننه .ومصارعته في ثوابته ،ومانراه من البشر

الذين يردون الظلم برفع الأيدي إلى السماء بالدعاء

ولكن الكل ظالم ومستبد في دائرته ، فلا يستجاب

دعاء وتغرق الدنيا في ظلم أكثر وأكثر.

..جعفر وواللزي وهارون يجلسون في مضيفة اللزي

في حيرة وتوتر ، يدخل طلب مسرعاً

.... مهران مات.

المفاجأة هزت اللزي وجعفر وهارون .

اللزي

.. مات ازاي ؟

... مهران طعنه اللي اسمه حسن في جنبه .

..وبعدين ؟

.... حسن طلع السكينة وغز بيها مهران ووقعوا

الاتنين على الارض ماحدش بينطق فيهم.

... يعني الاتنين ماتوا ؟

اتأكدنا احنا من موت مهران ، لكن مانعرفش حالة

حسن ، شالوه وجريوا بيه لبيت المقدس.

اللزي بغضب ولهجة عنف.

.. انا حروح اطربق دار ارمنيوس على راسه هو

واللي معاه .

جعفر

...اقعد بلاش تهور ، احنا مانعرفش حاجة لسه ، يمكن

يكون مات ويبقى اتنين اتعاركوا وضربوا بعض.

.... ولو مامتش..؟

... لي ترتيب تاني حختارله موته بإيدي أنا

وبالقانون ،انت روح ياطلب اطقس لنا اخباره

مات ولا لسه حي .

بالقرب من البئر

السلوتي ، رجل أحدب ، له علة بارزة في ظهره

يمشي منحنياً، غريب الأطوار ، يجمع الكثير من

المتناقضات،هو المخبول تارة ، والمجهول تارة إخرى

إلى درجة صعت أن تتوقعها، عبيط بعض الوقت، عين

صقر في وقت أخر ، يرتدي شوال يستر جسده

هو بنفس الحال صيفاً وشتاءاً حتى أن البعض يعتقد

أنه مبروك والبعض الآخر يعطف عليه بنظرة المسكين

والغلبان ولكن اللازي ورجاله وجعفر يحتقرونه دائماً

ويعاملون بغلظة ولا يعطفون عليه ، ولكن لواحظ بنت

جعفر تهتم به وأحيانا تمنحه الملابس فيتبرع بها

ولا يرتديها ويعود لإرتداء الشوال .

السلوتي يقف في مكان وقوع الجريمه يحدث

نفسه وكأنه يمثل الجريمة.ويحدث نفسه وهو يتحرك

..حسن كان هنا ، ماشي ومعاه ناس معرفهمش

جه مهران وطلع السكينه، وراح ضارب حسن في بطنه

حسن الدم نزل، أنا بحب حسن ، حسن طلع

السكين وغز مهران ،مهران غار في داهيه، انا

عاوز حسن ، أنا عاوز حسن ، يجري في الدرب

يردد أنا عاوز حسن.

يقابله بكر م ويستوقفه رجال اللزي .

.. حسن مين ياابن الرفضي ، غور من هنا،لو شفتك

مهوب هنا تاني حقطعلك لسانك.

.. السلوتي ينظر اليه بخوف ويجري.

.. حقول لحسن .

منزل أرمنيوس

عواء الذئب وحده لا يكفي لقتل الفريسة....

بدأ حسن يستفيق من غيبوبة الطعنة ولكن

لا يقدر على الحركة ، ارمنيوس ويشعة ومريم

حوله ورحان ومسعده ومرسال .

.. حمداً للرب على سلامتك ياحسن.

.. تسلم ياعمي .

...نظر حسن لمسعده ورحان ومرسال وهم

يبكون ..

..عمر الشقي بقي ياخاله مسعده ، ماتبكيش.

... حمدالله على سلامتك ياحسن.

واتجه بنظره نحو رحان .

.. تعبتكم معايه ياعمي.كان ممكن تعيشوا في

حالكم في هدوء .

... ماتقولش كده ياحسن انت ابني وابن

الغالي ولو حفضل اخدمك طول عمري مش

حكفي جمايله ، قوملنا بس انت بالسلامة

وفرحنا .

ينظر الى يشعه ومريم .

.. انت على طول بتبكي يايشعة ، ممكن تضحكي

مرة .

... احنا السبب في اللي حصلك .

... مالوش لازمه الكلام ده يايشعة وانازي القطط

بسبع ترواح وماتقلقيش ، احكولي ايه اللي حصل

رحان .

احنا اتقاجأنا بغزك بالسكين من راجل مانعرفوش.

منقريوس

... الراجل ده يبقى مهران من رجالة اللزي.

حسن

.. وحصله ايه ياعمي

رحان

...انت الظاهر غزيته في قلبه وسقط على الارض

قتيل ماحطش منطق .

.. وبعدين .

منقريوس

سديري وحمدان شالوك لحد هنا وكوولك الجرح

ونضفوه وربطوه.

.. مين سديري وحمدان دول.

.. من أهل القرية ، حمدان يبقى ولد الحمداني

وسديري ابن اخوه .

... فيهم الخير والله .

دار اللزي

منزل كبير من الطوب الأحمر، مَضْيفة وثلاث حجرات

وحظيرة للبهائم ، يعيش اللزي داخل المنزل مع

اخته منيرة العانس ، التي أحبت سديري ورفضت

الزواج من غيره وسديري يحب ليلة بنت عمه ويريد

أن يتزوج بها ولا يهتم بحب منيرة فهو يرى فيها

أخيها اللزي،وطباعه.

منيرة تقوم بتجهيز الفطار قبل أذان المغرب،وضعت

طبق ملوخية خضراء وطبق ويكه خضراء ، وبرام

به لحمة ببصل غارق في السمن ، وضعت كوبين

من الليمون على الطبلية وتنتظر مع أخيها موعد

الإفطار .يجلس اللزي على المائدة وهو يرتدي سيديري

على فانلة طويلة ولباس واسع.

..بدأ صياح الأولاد في الدرب معلنين موعد الإفطار.

..مجرد أن بدأ كلا من اللزي ومنيرة تناول الإفطار

حتى سمعا طرق طويل على الباب لا يتوقف.

منيرة

... مين اللي حييجي الساعة دي .

...شوفي مين ، يمكن في حاجه مهمه.

اتجهت منيرة نحو الباب وفتحت فيدخل طلب

وخلفه بكر ومنيره نهرتهما بشدة.

.. معلش ياست منيرة ، السبع قلي اطقس

على حسن ..

... يادي حسن اللي خلبط حالكم.

دخلت منيرة المضيفة حيث المائدة ، لم يقدم لهما

اللزي واجب الضيافة ورغم أن الوقت وقت إفطار.

... فيه ايه يافقري انت وهو ، وراكم أيه.

...حسن يابيه ، انت مش قلت اطقسلي عليه.

... ايوه واطقستوا عليه .

... ايوه ، سمعت انه بدا يخف بس بيتحرك بسيط.

...بقى كده ، طيب ، اتكلوا على الله انتوا.

دار الشيخ أدم

لو كان لشهر رمضان لسان يتحدث به ، لصرخ فينا

إبتعدوا عن طريقي ، اتركوني وحدي،كنت بالأمس

أفضل الشهور واليوم لا أجد من يرحب بمقدمي

من قلبه، كنت أمل العتق من النار، فأصبحت لاأرى

إلا أُناس أرهقهم السهر وناموا نهاري، كنت أرى

آثار صيامهم على أفعالي والآن أرى أناس غرتهم

الدنيا فزادوا لها حباً، موائدهم مليئة بالطعام وكأنهم

ماصاموا إلا ليأكلوا ، وكأني أصبحت لهم من شهر بركة

لشهر تعذيب .

يجلس الشيخ أدم في مدخل البيت على حصير

من الحلفا.ينادي على ابنه شحاته.

.... ياواد ياشحاته، ياابن عزيزه.

يأتي شحاتة مسرعاً.

... ايوه يابوي ..

... جابك بو يشبحك ، ألم أقل لك قل يأبي

ولا تقل يابوي .

....طيب يابو...يا أبي.

... امك حتعملنا أيه على الفطار اليوم، اوعى

تقول ملوخيه ناشفه.

... حتعمل ويكه ناشفه ،

....هي عزيزة غاويه نواشف ، ماتعرفش ان فيه

ملوخيه خضرا، نشفت معدتنا الله ينشف معدتها.

امشي انجر انده عليها نخليها تعملنا ثلاث فرادي حمام

وشوربة بالطشة.

... هي فوق الخص بتعدل في السباته، كانت حتقع.

صوت عزيزة من أعلى .

..انت مش حتبطل كلام ياراجل.

... انت ايه طلعك ياوليه انت ، ياسمينه، هو فيه

جاموس يركب خصوص.(يسخر من بدانتها وطلوعها

إلى أعلى .

دار الحمداني

تكمن قوة الصمت الرجالي كونه سلاحا تكتيكياً

إستراتيجياً، تضليلياً إانه حالة التباس ، مثل تلك

البدلة العسكرية التي يرتديها الجند ويأخذون لون

الفضاء الذي يتواجدون فيه ، يشبه صمت الحرباء

لو كان للحرباء صوت ،وألوان الصمت كثيرة تنافس

ألوان الطيف، فهناك صمت التحدي ، صمت الألم

صمت الكرامة ، صمت الإهانة،صمت اللامبالاة

صمت العشق ، صمت الداء.

دار بسيطة من الطوب اللبن ، يجلس الحمداني

على دكة في مدخل الدار ، وفي الدكة المقابله

يجلس ابنه حمدان وابن اخيه سديري .

حمدان

... سمعت ان حسن بدأ يتعافى .

الحمداني

.... ربنا يقويه ويتعافى منها، محدش وقف قدام

الظلمه دول غيره ، وكان حيدفع التمن حياته.

سديري

.. معاك حق ياعمي ، كويس لحقنا نكوي الجرح

الطعنة كانت شديدة .

حمدان

.. مش حيسيبوه في حاله.

الحمداني

.. من وقت ماجه حسن ، واللزي اتلهى فيه عننا

.. ايوه يابا ، دول كلهم اتلهوا في حسن .

تدخل ليلة بنت الحمداني ، فتاة متوسطة الطول

عينان عسيليتان ، جسد رشيق بين السمنه والنحافة قليلاً

....الشاي يابا.

الحمداني

... اقعدي يابنتي، سديري ابن عمك ومش غريب

وبكره يبقى جوزك.

... حاضر يابا. تجلس.

يلتفت الحمداني نحو سديري.

.. شد حيلك يابني خلينا نخلص ونفرح بيكم.

...(ينظر إلى ليله) على العيد حكون جاهز ياعمي.

..... ربن يتمم ليكم بخير وتعدي الجوزاه دي على

خير.

... انت لسه قلقان من اللزي.

... ايوه ياابني .

...بس هو بطل يتكلم في الموضوع.

... انا فاهمه كويس يابني.

حديقة قصر الملتزم

ليس الميت هو من فقد الحياة،ودُفن تحت التراب

بل هو من فقد الحب، فعاش في الحياة بجسد

بلا روح، قلب متحجر ومجمد، وليس كل من يتحدث

عن الحب يعرفه.

لواحظ وحليمة واقفتان بين الأشجار في حديقة

القصر.

... أيه أخبار حسن ياحليمه.

... فاق وحالته اتحسنت، يشعه بتقولي بيتحرك

بس بصعوبة .

.. أنت زعلانه عليه ياستي ، زي أهل البلد.

....انا استجدعته ياحليمه(تحدث نفسها)

حسن بقى الأمل اللي بيسليني في وحدتي

حليمه لاحظت شرودها.

... ستي ، ست لواحظ.

انتبهت اخيرا لواحظ.

... فيه أيه ياحليمه..؟

.. أنا بكلمك وانت مش معايه!

... بفكر حيعملوا أيه تاني فيه .

حاسه أنهم بيدبروا في حاجة كبيرة

ربنا يستر عليه.

... يدبروا أيه هو الراجل حمل حاجه، هو بيقدر

يتحرك.

.... مش حينسوا تارهم منه، الأول كان كسر

دراع كريم ، ودلوقت قتل مهران، ابويه حايش عنه

اللزي، وأبويه مايعملش كده حب لحسن، اكيد

بيفكر في حاجة .

داخل قصر الملتزم جعفر

للظالم قلب خاص، تجمدت فيه مخافة خالقه ، وأصبح

يتلذذ بطعم الظُلم والإستعباد،لا يسأل نفسه يوماً

سبب قسوة قلبه ولا ينظر في مرآه ليري ظُلمه تكسو

وجهه ، هو سادي الطباع محكوم بالتجبر والطغيان

هو شخص تهاون في حسناته ليمنحها لخصومة

واستأثر بالنصيب الأكبر من الذنوب.مهما كان جباراً

عتيا ولو تبعه في ركابه الملايين هو الخاسر المنكسر

أمام جبار يمهل ولا يهمل.

القلب الذي يظلم هو قلب ناقص ضعيف، ظُلمه نتيجة

لهزيمة نفسية أو عن حقارة ووضاعة والمتعجلون

والبطيئيون نادراً مايعدلون .

...وأشد أنواع الظلم قسوة هي التي تتم بإسم

العدالة ويأتون بالقوانين الجائرة ويصرون على تطبيقها

بقوة.

هو عدو نفسه يعيش على أصوات أبواق الدعاية

وطبل الكذب والطموح ومزمار القوة يطغي على

صوت الضمير فيه، الظالم دينه الأنا وربه الشيطان

.. في مضيفة جعفر هو وهارون وأطباق الفاكهة

أمامه يتناول تفاحة ويقطمها.

....أخبار الطاحونه أيه.

...كويسه وشغاله نهار وليل مافيش غيرها في

البلاد المجاورة،

... والسوق ماشي تمام التمام، كله بيدفع

أرضية في سوق الخميس، بياع الطعميه

وبياع القصب وبياعين الغلا والمواشي.

.... أحنا حنغيروا شوية في نظام السوق

بدل ماكل واحد يدفع أرضية إستعمال للسوق

إحنا حنأجرها بالدراع ، يعني بتاع الطعمية ياخد

كام دراع للطعمية يأجرهم لبتوع الطعمية وبتاع

الغله وبياع القصب والمواشي ونأجر الدراع بخمسة

آقجة .

.. ماشي جنابك ، كده أحسن وأحسن منأجر

بالبارة .

... كده فهمتني ياهارون والآقجة الواحدة بخمس

بارات ، يبقى فيه فرق كبير.

..من الخميس اللي جاي ، حنشتغل باللي قلت عليه.

.... ودلوقت عاوزك تنزل المنادي ينادي لأهل البلد.

....ينادي بأيه .

...جناب قاضي عسكر افندي جاي بكره ، نادي

اللي عنده مسأله أو مشكلةأوقضية قاضي

عسكر افندي موجود .علشان يحلها ليه.

.. وحنسيب الناس تهجم على دار جنابك

كل اللي عنده حاجه يجي يقولها.

... لا مش كده ، انت حتقول اللي عنده المشكلة

يجي عليك وانت تدخلهم بالدور وتاخد من كل واحد

خمس أقجات .

.. ماشي جنابك .

موكب استقبال قاضي عسكر افندي قبل صلاة

الجمعة.

الطاغية لا يفهم أن العدل أقل تكلفة من الظلم وأن

الأمن أقل كلفة من الحرب، فالقوة بلا عدالة تورث

الطغيان والعدالة بلا قوة تورث الضعف والهوان وكلمة

إنسان تعني عدل والإنسان لا يكون إنساناً بلا عدالة

في مدخل القرية يقف الملتزم جعفر واللزي وهارون

وحولهما كوكبة من رجالهم ينتظرون قدوم قاضي

عسكر افندي.

.. من بعيد يقف محمد عوض وعبدالمتجلي الحلاق

الأخنف يراقبان المشهد من بعيد.

عبدالمتجلي

... ليه اللمه دي كلها ياابوعوض، هو فيه حاجه

.. هو انت مش هنا واللا ايه ياعبدالمتجلي؟

... ايه ، فيه أيه؟

...قاضي عسكر افندي جاي يومين البلد...

زي مابيعمل السنجق كل سنه ويبعته يومين

في رمضان .

....عشان كده كانوا بينادوا على الي عنده مسألة

يروحله.

... ايوه ويدفع خمس أقجات.

عبدالمتجلي يضحك

وهم خلوا حاجة حيلة الناس، ماخلوش حتى مهنه

للغلبان ياكل منها عيش.

....آه معاهم كل حاجة وواخدين كل حاجة الناس

حتتشاكل بقى على أيه، ماخلوش حتى حاجة

نتشاكل عليها (يضحك بقوة)

... وعاوزين كمان خمس آقجات حتى مش بارات

...روح قولولهم اهل البلد مبسوطين قوي وعندهم

مشكلة واحدة بس.

.... مشكلة ايه دي ..؟

مشكلة الزغبي والجبالي وهما بيتخانقوا

على مين يؤم الناس منهم في صلاة الظهر

والعصر لمايكنش الشيخ أدم موجود.

..موكب قاضي عسكر افندي

....يظهر قاضي عسكر من بعيد وبصحبته في إستقباله

على الطريق طلب وبكر يسيران في الأمام وخلفهما

القاضي وعلى يمينه كاتب العدال وعلى يساره عامل

يسمى عامل البقشيش ينتظر البقشيش بعد سداد

رسوم القضية .يصل الموكب حيث يقف جعفر ويرحب

به بحرارة ويتبادل القاضي التحية مع الجميع.

.. شرفتنا ياجناب القاضي.

...تسلم جعفر بيك وببلغك سلام خان بيك سنجق

جرجا والجعفري سنجق سوهاج.

... فيهم الخير والله. أظن حنطلع على صلاة الجمعة

قبل ما نروحوا البيت .

..ضروري طبعاً.

جعفر يخرج كيس نقود ويدسه في السر في يد

القاضي.

... كريم دائما جعفر بيك ويدك سخية.

... هو جيتك عندنا شويه جناب القاضي، وبعدين

اتعشم في انك تخطب خطبة الجمعة اليوم بدل

من الشيخ أدم.

.. بكل ممنويه.

...طبعا عارف مايفتش قاضي يتكلم عننا في الخطبة

ويديعيلنا.

...هذا حقك جعفر بيك ياابو الكرم .

خطبة المسجد.

قاضي غسكر بصحبة الملتزم جعفر وحاشيته يجلسون في الصف الأمامي ، انتهى الأذان الأول للجمعة وصعد قاضي القضاة على المنبر وبدأ الأذان الثان وبعد ان انتهي المؤذن من اذان الخطبة .

بدأ قاضي القضاة بالحمد لله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،ثم بدأ خطبته بعنوان طاعة ولي الأمر وأخذ يوضح للناس أهمية طاعة ولي الأمر وعدم عصيانه وأن ولي الأمر هو رب الشعب على الأرض وكل حاكم رب لمحكوميه فوجب السمع له والطاعة وأهمية وجود ولي أمر يسوس الأمة إلى الفلاح والتقدم وفي حالة عدم وجوده تخلف وفوضى وجهل وان أمر ولي الأمر في شئ وجب تنفيذه وعدم مناقشته ولا يحل لمسلم الخروج على ولي أمره.

..جعفر يتابع الخطبة بفخر وكبرياء وينظر للأهالي في الصفوف الخلفية بتعالي ويهز رأسه مع كل كلمة ينادي بها القاضي وينظر لحاشيته وكأنه يقول لهم ، دي خطبة الجمعة ، مش الكلام اللي بيقوله الشيخ أدم.

.. بدأ الخطيب ينهي خطبته للدعاء للسلطان

وعسكره ، ثم عرج بالدعاء لجعفر متمنيا له الفلاح

... عندما بدأ في الثناء على جعفر والدعاء له،لم

يقل أمين سوى رجاله وحاشيته ، واستنكر موقف

الأهالي من عدم قول أمين .

المحاكمة

لأن العدالة ثمينة جداً، لذلك فتكلفتها باهظة الثمن، ومن العدل أن يأتي الرجل بحجج لخصومه كما يأتي بها لنفسه

ومعنى العدالة إعطاء كل ذي حق حقه بإنصاف.

مضيفة جعفر تم إعدادها للمحاكمة ، يجلس قاضي عسكر

أفندي واضعاً عمامة القضاء وهي عمامة كبيرة الحجم

وهي من أهم المظاهر الشكلية للقاضي .

وعلى يمينه كاتب العدال ويقف عامل البقشيش

عند الباب .

يدخل رجال جعفر بحسن ويجلسونه على ركبتيه

حسن اضطر للذهاب معهم رغم حالته الصحية

فقد هدده اللزي بأنهم ثم يقبضون على جميع

من في دار ارمنيوس يشعة ومريم ومسعدة وارمنيوس

ورحان ومرسال ومحاكمتهم بالخيانةوبالتستر عليه

بدأ القاضي إجراءات المحاكمة بالسؤال عن صاحب

الدم فقدم إليه جعفر مناع بن مهران القتيل .وسأله

....انت مناع ابن مهران .

.. ايوه يابيه .

... ايه اللي حصل.

...ابويه كان خارج من صلاة الجمعة وهو ماشي

في الطريق للبيت ، الراجل ده (يشير إلى حسن)

هجم عليه وغزه وموته بالسكين .

... هل هناك عداء بين ابوك القتيل والجاني قبل كده.

...لا يابيه ولا أبويه يعرفه .

.. عندك شهود .

.. ايوه يابيه ، كل أهل البلد.

... ادخلوا الشاهد الأول .

يدخل الشاهد الاول .

.. اسمك أيه ؟

.. طلب محمد عتمان .

..قول والله العظيم أقول الحق.

... والله العظيم ، اقول الحق .

.. أيه اللي تعرفه عن الحادثة.

... أنا كنت خارج من صلاة الجمعة ،وانا ماشي ، لقيت

الأفندي ده بيهجم على مهران بسكينة وغز مهران

في بطنه وقبل مامهران يموت طلع السكينة من

بطنه وهو بيدافع عن نفسه وغز بيها الأفندي ده

... طيب خلاص انت.

وجاءت أقوال الشاهد التاني بكر على نفس نهج

شهادة طلب وكذلك الشاهد الثالث.

القاضي مخاطباً حسن .

...لو عاوز تقول حاجه، قول قبل النطق بالحكم.

..انا ماعملتش حاجة وكل اللي قالوه الشهود

زور وظلم ، انا اللي طُعنت الأول ودافعت عن

نفسي ورديت الطعنة .

... عندك شهود على الكلام ده .

...كل اهل البلد كانوا شهود.

.. وهم فين ؟

.. معرفش .

جعفر

.. مفيش شهود من البلد ياجناب قاضي عسكر

افندي ولو فيه زي مابيقول كانوا جم شهدوا.

القاضي وكان جعفر قد أعطى الأوامر بمنع من

يحاول أن يتقدم من أهل القرية للإدلاء بشهادته

..الحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

وحيث تبين لنا مقتل المدعو مهران على يد المذنب حسن عامر

الجزار وذلك بشهادة الشهود على الواقعة واطمئنت المحكمة

لشهادة الشهود وتبينت وقوع الجريمة على نحو يقين

صادق ولم يقدم الجاني شهودا ولا دلائل كافية

يرد بها على الإدعاء عليه ولرد تهمته بالقتل

لذلك حكمنا نحن مراد قاضي

عسكر افندي بمنح حق القصاص لولي الدم

مناع ابن مهران ابن القتيل.

هتف اتباع جعفر

يحيا العدل.

القاضي أمر بخروج حسن.

المسألة الثانية ارمنيوس وليم جرجس.

يدخل ارمنيوس مضيفة المحاكمة.

ثلاثة رجال من اللازي صعدوا إلى اعلى المنزل

وهم يجرون حسن الغير قادر على الحركة

عندما وصلوا للدور الأول علوي ، حيث حجرة لواحظ

شاهدت حسن من ظهره وهم يصعدوا به إلى أعلى

استوقفت أحد الرجل .

... فيه أيه ..؟

...خلاص ياست لواحظ خلصنا من حسن والقاضي

حكم لابن مهران بالقصاص منه .

.. وانتوا واخدينه ورايحيين فوق.

...أبوك حيحبسه في اوضة المخزن اللي فوق وحسيب

حرس عليه.

..ظلت تتابعهم حتى اختفوا فوق السطح وسرعان

ماسمعت الرجل الذي كانت تحدثه يحدث آخر

يبدو أنه يقوم بحراسة حسن .

...انت حتقعد هنا ياعبدالمولى لحد تاني يوم

تفضل مصحصح لتاني يوم ، واوعى عنيك تغفل

أو تخلي حد يهوب ناحيته .

..ماتقلقش اخوك سبع .

تتجه لواحظ إلى حجرتها وهي في حالة قلق وتوتر

عودة للمحاكمة .

القاضي

وبعد الإستماع لطرفي النزاع ،جعفر بيك

ملتزم البلدة، وحارسها وأقوال ارمنيوس

وبعد التأكد من سمو نية الشاكي

وانه يود نزع اي فتيل لفتنة طائفية

وحيث ان السنجق وافق على تجميع

النصارى في مكان واحد هو عرب

الدير ، فيكون طلب الشاكي جعفر

يصادف صحيح الحق

لذلك

حكمنا بضرورة اخلاء

ارمنيوس لداره وحيث

انه طلب مهلة خمسة

شهور فاستجابت

المحكمة لطلبه

انصرف ارمنيوس متثاقلا الخطوات ، يبكي من داخله

بعمق والفرحة على وجه جعفر الذي ضرب عصفورين

بحجر واحد وراح يشكر القاضي.

.. ادي العدل ولا بلاش ، تسلم قاضينا

...اعتقد انت حققت ماتريد ياجعفر بيك

... ايوه بس خمس شهور كتير دول زعلوني

... حيعدوا بسرعة وبعدين ياجعفر بيه لازم يكون

فيه جانب إنساني في حكم القاضي، ايدك بقى

على المصاريف وبالزيادة ، انا مطلعتش بحاجة

من بلدكم وكأنها خلت من المشاكل .

... اديك قلت خلت من المشاكل علشان تعرف

اد ايه حققنا استقرار للقرية خد (يناوله كيس نقود)

... كام دول ؟

..خمسين آقجة مش خساره فيك وكمان تعويض

لجناب قاضي عسكر افندي .

في حجرة لواحظ

بعد منتصف الليل، الليل يحتضن القرية ويكسوها

بسواد حالك لا تتبين فيه الأشياء ، ترى كل الأشياء

وكأنها أشباح تتحرك ، تفترب منك تارة لتقبض عليك

وتبتعد تارة آخرى وكأنها تطير أمامك بأجنحة سوداء

..الصادقون في عواطفهم نوعية خاصة من البشر،هم

يؤمنون أن الصدق في العاطفة أهم من الكلام

والشكليات، هم يعيشون سعداء بلقوب خضراء

لا تعرف الحقد والكراهية، هم يحبون الحياة بعاطفتهم

لذلك تحبهم الحياة ، هم أخلاقهم الإنسانية وعنوانهم

الصدق ولغتهم التفاهم الروحي ، البكاء ضرورة لهم

ولكن لم يكن يوماًحلاً.

لواحظ لم تستطع النوم ، تمشي في حجرتها

ذهاباً واياباً تفكر في حسن وماتعرض له من ظلم

لم يراعوا تعبه وعجزه، تدرك أنه يضحي بنفسه

..هي تحدث نفسها عن سر إهتمامها بحسن

هل هو عطف وشفقة عليه أم أن قلبها يميل

إليه ، عجزت أن تحدد ماهية حسن بالنسبة لها

ولكنها في جميع الأحوال تنظر إليه ، نظرة لإنسان

في محنة عظيمة ، حتى أنه عجز عن الدفاع عن نفسه

...ماذا تفعل ؟..

..كيف تتصرف وهل يمكنها مساعدته.

.أخيراً اتخذت إلى القرار الصعب ومساعدته مهما كانت

النتائج ودعت ربها أن يساعدها ولا يفضحها فلو تم

كشف الأمر سوف تكون كارثة لن تنجو منها.

فتحت باب حجرتها لم تستعمل إضاءة خوفا من

إفتضاح أمرها وقررت الصعود لسطح المنزل في

هذا الظلام الحالك وهي تسترق السمع ،شعرت

بسعادة وهي تسمع شخير حارس الحجرة

رغم غلظة الشخير ووقاحته وصوته العالي ولكن

هو يمنحها الأمان فطالما هذا الشخير يتصاعد

هي في أمان وأدركت أن هناك توفيق من الله

شعرت به ، تتلمس طريقها إلى أعلى في بطئ

بلا إضاءة ، هي تعرف عدد درجات السُلم وتعرف

كيف تصل إلى أعلى ، كلما اقتربت زاد شخير

الحارس وتارة يستخدم شخرة طويلة وتارة أخرى

شخرة متقطعة يعقبها طويلة. وصلت إلى أعلى

..من شخير الحارس أدركت مكانه جيداً هو يجلس

نائما إلى اليمين من الحجرة التي هي محبس

لحسن ، حجرة مخزن القصر بها عدد من بلاليص

المش والجبنة القريش والخزين من العدس والفول

وباقي البقوليات .تحسست طريقها برفق كاتمة

أنفاسها تستأنس بشخير الحارس فهو يُطمئن

قلبها وصلت إلى الجانب الأيسر، لمحت شبح

الحارس جالساً وهو يغط في نوم عميق، وضعت

يدها على مزلاج الباب ، مزلاج خشبي كبير

استعملت يديها الإثنين ورفعته بهدوء ودقات قلبها

تتزايد، تمكنت من فتحه وفتحت الباب بهدوء وخطت

لداخل الحجرة هامسة حسن .

... مين .؟

..مش مهم تعرف مين ، اتكلم بالراحة.

اقتربت منه هامسه .

.. تقدر تخرج من هنا وتهرب.

حسن ورغم تعبه وعدم قدرته على الحركة ولكنها

فرصة تحتاج لتضحية .

... حخرج ازاي.وحنزل ازاي؟

...أمسكت بحبل ، تعالى وانا حتصرف واربط الحبل

ده وانزل بيه في ضهر البيت، واطلع ناحية الجبل

بلاش تروح ناحية الجسر ولا الدرب.

... ماشي .

.. امسكت بشوال قطن فارغ

... كويس ، خد الشوال ده وداري نفسك بيه

تعالى وراية ، مشى حسن خلفها حتى خرجت

من الحجرة وأعادت المزلاج الخشبي لمكانه

واتجهت بحسن نحو السور وربطت الحبل

بحديد السور.

حسن وهو يهم بالنزول .

... مش عارف اشكرك ازاي.

...مش مهم تشكرني ، انزل بس انت بسرعه.

..مش عاوزه تقولي انت مين .

...سيبك مني ،حياتك أهم دلوقت.

بدأ حسن ينزل على الحبل وقبل أن يصل

إلى الأرض إنقطع الحبل فوقع على الأرض

فتأزم أمره.وصوت سقوطه على الأرض

افاق الحارس من نومه .

...مين ،.؟ فيه أيه.

راح ينظر لمزلاج الحجرةوجده بحاله، ولواحظ انسحبت

بهدوء وببطء وتنفست الصعداء بمجرد وصولها الُسلم

والحارس إطمأن عندما وجد المزلاج كما هو وعاد

يمارس هوايته في الشخير.

عادت لواحظ لحجرتها حتى أغلقت بابها عليها

فأسندت ظهرها للباب وهي تحمد الله ولكن

في قلق من سقطة حسن على الأرض

وهل كان قريباً أو بعيداً عن الأرض.

قادت الصدفة السلوتي بوجوده في مكان سقوط

حسن اقترب من مصدر الصوت وأشعل عود

ثقاب فتبين شخصية حسن الذي أطفأ عود

الثقاب وقال له .

... خدني لمكان أمين في الجبل، ماكاد يكمل

جملته حتى حدث إغماء له . فاحتار السلوتي

كيف يتصرف فهو راجل احدب ومعلول ولن

يستطيع حمله ، فهداه تفكيره بوضع حسن

فوق شوال القطن الذي يمسك به وربط الشوال

بطرف الحبل الساقط بحسن وربط الطرف الآخر

في جسمه وبدأ بجر الشوال محمولا فوقه حسن

هو يعرف مسالك الصحراء، ورغم وحشة الصحراء

ولا يستطيع أن يسير بها الشخص العادي ، إلا

انها مأوى للسلوتي ، لا يخاف عواء الذئاب

بل تعود عليها حتى أن الذئاب ألفته ،أهل القرية

يفسرون عدم خوف السلوتي من الصحراءتفسيرات

غريبة وأغربها ما أشاعه محمد عوض في أن

السلوتي غامض ووراءه حكايات ولا يخاف

من الصحراء لأنه متزوج من أم الصبيان وأم الصبيان

كما وصفها محمد عوض في إشاعته هى أنثى

غول شديدة البشاعة ولها أرجل بقرة وتتنكر

ليلاً وتظهر جميلة لإصطياد فريستها لتأكله ويقول

أن لها صرخة غريبة قد تسبب الموت أو الجنون

وأنها تأكل البشر وخصوصاً الأطفال وهي تألفت

مع السلوتي وأعجبت به وتزوجته ...،سار

السلوتي وقتاً طويلاً بحسن ، مر على مكان

يدعي السيف وهو مساحة كبيرة من الرمال

على شكل سيف ، مر بالسيف وشق طريقه

لمكان يسميه أهل القرية الدرب فهو طريق بين

جبلين ولكن السير فيه غاية في الصعوبة

ولا يجازف أهل القرية في المرور فيه، السلوتي

يدرك مسالكه جيداً والأماكن السهلة فيه وبعد مرور

بعض الوقت وصل السلوتي مغارته التي لا يعرف

طريقها أحد ،إضاءة خافتة في المغارة بلمبة بفتيل

يسمونها لمبة الشيخ علي، نقل السلوتي حسن

إلى جانب في المغارة ووجد بعض بقع الدم،حسن

حسن مُغمى عليه ، فتح منظقة سقوط الدم فوجد

الجرح ، هو يعلم جيداً هذا الجرح ومن أحدثة، كتم

الدماء بقطعة من قماش بالية وربط الجرح .

فهرس الكتاب

الإهداء ٢

غروب وشروق ١٦

على القريوس.. ٤٩

ليلة وداع ٥٥

دار اللزي ٩٨

حديقة قصر الملتزم ١٠٤

موكب استقبال قاضي عسكر افندي قبل صلاة ١٠٨

خطبة المسجد. ١١١

المحاكمة ١١٣

فهرس الكتاب ١٢٧